ضمن هذا العدد؛ ملحق خاص حول أحكام الـ

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة

٤

رسالة إسلامية منهجية جامعة

تصدر منتصف كل شهر هجري

(وفي كل شهرين مرة مؤقتاً)

العدد الرابع : ١٥ شوال ١٤١٣ هـ

... تَقْرَأُ في هذا العدد :

مسائل وأجوبتها : للعلاّمة الألباني .

الاعتصام بحبل اللّه نعمةٌ : محمد إبراهيم شقرة .

واقع الأمة الإسلامية .. الدّاء والدّواء : صالح السدلان .

حكم صرف العملات المختلفة : فتحي عبداللّه سلطان .

تقدير (المصلحة) كيف .. وَ .. لمن ؟! : علي بن حسن .

اشتداد الفتن على مَرِّ الزمن : مشهور بن حسن .

الإمام الهُذلي وكتابه في « القراءات » : محمد موسى نصر .

كرهت أن أُسمتك في الإسلام : سليم بن عيد الهلالي .

بالإضافةِ إلى عَددٍ مِن الأبوابِ الثّابتةِ والمواضيع العلميّة الأخرى ...

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العددُ الرَّابع

١٥ شوال ١٤١٣ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

جمعية النور والايمان الخيرية الإسلامية
علم وخبر ١٣٠/أد
ص.ب : ١٣/٦٠٠٦ شوران
بيروت - لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء:١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِح لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] .

أمّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النّار .

المُحتَوى

- **فاتحة القول** : جراحات المسلمين ... من لها ؟

التحرير ٥

- **تأملات قرآنية** : ﴿ لا أسألكم عليه أجراً ﴾ .

سليم بن عيد الهلالي ٧

- **الكلم الطيب** : اشتداد الفتن على مرِّ الزَّمن .

مشهور بن حسن ١٢

- **في السياسة الشرعية** : أجوبة العلامة الألباني على أسئلة

جبهة الإنقاذ - الجزائر ١٥

- **مباحث عقدية** : أقسامُ التَّوحيد .

علي بن حسن ٢٣

- **من جعبة التاريخ** : كرهت أن أُشمتك في الإسلام .

سليم بن عيد الهلالي ٢٧

- **تصفية وتربية** : تقدير (المصلحة) كيفَ ... و ... لمن ؟!

علي بن حسن ٣٠

- **قِيَم إسلامية** : الاعتصام بحبل اللَّه نعمة لا يعلمها إلّا العاقلون .

محمد إبراهيم شقرة ٣٣

- **كلمات في الدعوة والمنهاج** : اتباع السُّبل .

محمد بن موسى بن نصر ٣٧

- **في السنة وعلومها** : ما لم يصحّ من أخبار في فضل الجار .

أبو الحسن الأثري ٤٠

- **محاضرات** : واقعُ الأُمة الإسلامية ... الدَّاء والدَّواء .

د. صالح بن غانم السدلان ٤٢

- **الكتب ... عرضاً ونقداً ... : وقفة مع ... « دفع شُبه التشبيه » .**

مشهور بن حسن ٤٩

- **تراثيات : الإمام الهذلي وكتابه « الكامل في القراءات الخمسين » .**

محمد بن موسى بن نصر ٥٦

- **الاقتصاد الإسلامي : حُكم صرف العملات المختلفة .**

فتحي عبدالله سلطان ٥٩

- **متابعات .. : المؤتمر السَّادس لجمعيَّة القُرآن والسنَّة في أمريكا الشمالية .**

د. محمد الجبالي ٦٥

- **مسائل وأجوبتها .**

الشيخ محمد ناصرالدين الألباني ٦٨

- **أحوال العالم الإسلامي .**

التحرير ٧٠

- ملحق أحكام الحج وآدابه :

- **ما لا بدَّ منه بين يدي الحج .**

محمد بن موسى بن نصر ٧٢

- **لا حرج ... أيُّها الحجيج !**

علي بن حسن ٧٦

- **احذروا أيُّها الحجيج .**

سليم بن عيد الهلالي ٧٨

- **القراء ... منهم .. وإليهم ..**

التحرير ٨٠

- **مسك الختام .**

التحرير ٨٣

فاتحة القول

جِراحات المُسلِمين ... مَن لها ؟

التحرير

لم يَمُر على المسلمين - على اختلاف عصورهم - واقعٌ أسوأَ من واقعِهم الذي يعيشونَه اليوم، وما مضت عليهم سنون عجاف كسنيهم هذه، حيث نُهبت خيراتهم، وقُطعت أوصالهم، وتداعت الأمم عليهم من كلِّ حدبٍ وصَوبٍ كتداعي الأكلة إلى قصعتها .

وما كانَ أعداءُ الأمَّة ليبلغوا ذلك منها حتى أعملوا معاول التخدير في جسدها، حتى إذا سرى التخدير في جميع جسدها أصبحت الدولةُ الواحدةُ دويلات، والشَّعبُ شعوباً، والعرب أعراباً، وغدوا شيعاً وأحزاباً يأكل بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً .

ولم يكتفِ أعداء الأمة بذلك حتى نصَّبوا على كلِّ (قرية) حارساً ! وعلى كل (مدينة) فارساً ! اصطفوه على أعينهم، وأرضعوه من لبانهم فنبت لحمه ونشز عظمه، فغدا ألعوبة في أيديهم، وسوطاً مُسَلَّطاً على بني دينه وجنسه، لا يتحرك إلّا إذا أمروه، ولا يسكن إلّا إذا زجروه ونهروه !!

وتنكّر كثيرٌ من (هؤلاء) لِقِيَمِ الأمة وأخلاقها؛ فما عاد يغار على دماء المسلمين ولا على حرماتهم وأعراضهم، فأنَّى لهم أن يسمعوا أنّات الثّكالى، وعويل الأيامى، ونحيب العذارى، وصراخ الأطفال، وجزع الشيوخ .

إنَّ القَهر والظلم والتشريد الذي يعيشه المسلمون اليومَ لم يقع على أمَّةٍ من الأمم الكافرة لأنَّ أهل الكُفرِ ذَوُو ملة واحدة تأخذ من قويها لضعيفها وتحافظ على حقوق أبنائها وشعوبها، بينما نجد المسلم - في هذا الزمان - لا حرمة له، حتى أصبح دمه لا يساوي قيمة الرصاصة التي تطلق عليه؛ فالمجازر منتشرةٌ في فلسطين وفي الهند وكشمير وفي البوسنة والهرسك والفلبين والصومال وفي كل مكان، ولكن لا مجيب ولا مغيث إلّا اللّه .

لقد أسمعتَ لو نادَيتَ حيّاً ولكن لا حياةَ لمَن تُنادي

ولو ناراً نفَختَ بها أضاءَت ولكن أنتَ تنفخُ في رمادِ

فالحالُ لن يتغير إلّا بالعودة إلى اللّه سبحانه، وعلى منهج رسول اللّه ﷺ : ﴿ إنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتى يُغَيِّروا ما بأنفُسِهم ﴾ .

والذلُّ باقٍ حتى ترجع هذه الأمَّة إلى دينها الحقِّ كتاباً وسنةً، علماً وعملاً، اعتقاداً وسلوكاً؛ بفهم سلف هذه الأمة الذين رضي اللّه عنهم ورضوا عنه .

ومهما اشتدَّ الظَّلامُ فإنَّ الفجرُ سَينبلجُ، ومهما ادلَهمَّ الخَطْبُ فَسَيُفَرِّجُ اللّهُ، وستكون الرِّفعةُ - ولو بعد حينٍ - لهذه الأُمَّةِ الموعودةِ بالنَّصر والتمكين، ولو نَفشَ أهلُ الكُفرِ ريشهُم، واستعلَوا على هذه الأُمَّةِ المنكوبَةِ - لتَشتُّتها وهوانها على نَفسها - بجبروتهم وَهيمنتهم، وَلو - أيضاً - أذلُّوا هذه الأُمَّةَ بيَدِ زبانيتهم من أبنائها !!

فالأُمَّةُ اليومَ مَدعوَّةٌ لنهضةٍ قويَّةٍ تُخرجها من سحيقِ وَهدَتها، وتُنقذها من عميقِ غفلتها، وليس ذلك كائناً لها - كما ذكرنا - إلّا بالعودةِ الصَّادقةِ إلى دين اللّه جلَّ وعلا؛ امتثالاً لأمرهِ وانتهاءاً عن نهيه وزَجرهِ .

واللّهُ ناصرُ جنده ومعزّ أوليائه، ولكن أكثر النَّاس لا يعلمون .

تأملات قرآنية

﴿ لا أَسأَلُكُم عَليهِ أجْراً ﴾

سليم بن عيد الهلالي

إنَّ تعفُّف داعي اللَّه عن الأجرِ ضمانٌ للناس من الناحية الدُّنيوية مما يدعوهم إلى التَّفكير الهادىء البريء ... هذا الذي يدعوكم ما مصلحته ؟ ما بواعثُه ؟ ماذا يعودُ عليه ؟

إنَّ إعلانَ الزهد فيما لدى النَّاس من عرضِ الدُّنيا، والترفع عن قيم الأرضِ الزائلة، والتطلع إلى ما عند اللَّه من أجرٍ وذُخرٍ سبيلٌ سَلكها المرسلون جميعاً، ودرجَ على إثرِها الدعاةُ الأولون الذي يأمرون النَّاس بالقِسطِ .

فهذا نوحٌ - أوَّلُ الرُّسل - عليه الصلاة والسلام - يقولُ لقومه :

﴿ وما أسألُكم عليهِ من أجرٍ إنْ أَجريَ إلّا على ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء:١٠٩].

وسارَ على إثرِهِ هود عليه الصلاة والسلام :

﴿ يا قومِ لا أسألكم عليهِ أجراً إنْ أجريَ إلّا على الذي فطرَني أفلا تَعقِلون ﴾ [هود:٥١] .

وكذلك صالح عليه الصلاة والسلام :

﴿ وما أسألكم عليه مِن أجرٍ إنْ أجريَ إلّا على ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء:١٤٥] .

وكذلك لوط عليه الصلاة والسلام :

﴿ وما أسألُكم عليه من أجرٍ إنْ أجري إلّا على ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء:١٦٤] .

وكذلك شعيب عليه الصلاة والسلام :

﴿ وما أسألُكم عليه مِن أجرٍ إنْ أجري إلّا على ربِّ العالمين ﴾ [الشعراء:١٨٠] .

هذا هو هَدْي الأنبياء في الدعوة إلى اللّه : لا ينتطرون الأجر والجزاء إلّا من اللّه؛ فهو الذي كلّفهم، وهو الذي يثيبهم ... وأجره هو الذي يتطلع إليه داعي اللّه، ومن تطلع إلى ما عند اللّه؛ فكل ما عند النّاس هين عنده، هزيل زهيد لا يستحق التفكير .

وبذلك أمر اللّه خاتم النّبيين ﷺ :

﴿ أولئكَ الّذينَ هَدى اللّهُ فَبِهُداهُم اقتَدِه قُل لا أسألُكُم عليه أجراً إنْ هوَ إلّا ذكرى للعالمين ﴾ [الأنعام:٩٠] .

وقرر هذا المنهج الربانيّ في الدعوة إلى اللّه الذي سارَ عليه الأسوةُ الحسنةُ محمدٌ ﷺ في عدة سور :

١ - الفرقان : آية ٥٦ - ٥٧ :

﴿ وما أرسلناكَ إلّا مُبشّراً ونَذيراً . قُل ما أسألُكُم عليهِ من أجرٍ إلّا مَن شاءَ أن يتّخذَ إلى ربّه سبيلاً ﴾ .

٢ - سبأ : آية ٤٧ :

﴿ قُل ما سألتُكم من أجرٍ فهوَ لكُم إنْ أجريَ إلّا على اللّه وهو على كلّ شيء شهيد ﴾ .

٣ - ص : آية ٨٦ :

﴿ قل ما أسألُكُم عليه مِن أجرٍ وما أنا مِنَ المُتكلّفين ﴾ .

٤ - الطور : آية ٤٠ ، والقلم : آية ٤٦ :

﴿ أم تسألُهُم أجراً فهُم مِن مَغرمٍ مُثقَلون ﴾ .

وهذا المنهج الرباني في الدعوة إلى اللّه لم يتغير من لدن أول الرسل إلى خاتمهم صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين، ولم يستنكف عن تقريره نبي ولا رسول؛ فهي كلمة

واحدة يقولها كل رسول .

ومنه يُتَبَيَّن أنَّ هذا المنهج ضروريٌّ للدعوة الصحيحة الصريحة لأمور؛ منها :

١ – تمييزاً لها مما عهده الناس من الكهان وسدنة الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد بشتى الأساليب ومختلف الحِيَل .

أما **الدعوة إلى اللَّه** فكان دعاتها دائماً متجردين لا يطلبون من الناس جزاء ولا شكوراً .

٢ – تبياناً لصدقها؛ فإنَّ الذي يدعو مثل هذه الدعوة، وهو لا يطلب أجراً، ولا يبتغي مغنماً ... إنَّه لصادق، وإلّا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن ملبياً لتكليف اللَّه ؟!

وتأمل هذه الحقيقة التي يستدل بها مؤمن سورة ياسين على قومه :

﴿ وجاءَ مِن أقصى المدينةِ رجلٌ يسعى قال يا قومِ اتَّبعوا المرسلين . اتَّبعوا مَن لا يسألكم أجراً وهم مهتَدون ﴾ [ياسين:٢٠-٢١] .

وهذه السَّبيلُ لم يتنكبها رباني ورث الدعوة عن أنبياء اللَّه .

فهذا التابعي الجليل أبو حازم يعظ سليمان بن عبدالملك قائلاً :

عظم ربك، ونزّهه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك .

فلما خرج من عنده، بعث إليه سليمان بن عبدالملك بمئة دينار، وكتب إليه : أن أنفقها، ولك عندي مثلها كثير .

فردها أبو حازم، وكتب إليه :

يا أمير المؤمنين أعيذك باللَّه أن يكون سؤالك إياي هزلاً، أو ردي عليك بَذلاً، وما أرضاها لك فكيفَ أرضاها لنفسي ... فإن كانت هذه المئة دينار عوضاً لما حدثت؛ فالميتة

والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحلُّ من هذه، وإن كان لحق في بيت المال فلي بها نظر، فإن ساويت بيننا وإلّا فليس لي فيها حاجة .[1]

وهذا العز بن عبدالسلام ينصح للملك الأشرف، فيقول الأشرف :

جزاك اللّه عن دينك وعن نصائحك وعن المسلمين خيراً، وجمع بيني وبينك في الجنّة بمنه وكرمه .

وأطلق له ألف دينار مصرية، فردَّها سلطان العلماء قائلاً :

هذه اجتماعةٌ للّه، لا أكدرها بشيء من الدنيا .[2]

ولما سافر شيخُ الإسلام وشامَة أهل الشام ابن تيمية على البَريد سنة سبع مئة وحضَّ على الجهاد رُتِّبَ له مُرَتَّب في كل يوم وهو دينارٌ وتُحفةٌ وجاءتهُ بُقجةٌ؛ فلم يقبل من ذلك شيئاً .[3]

هذا المنهج الرباني والموقف الإيماني يقصم ظهر أمور انتشرت في ساحة الدعوة إلى اللّه؛ منها :

١ - أصبحت الدعوة إلى اللّه وظيفة دنيوية، لها مؤسساتها، ولها رجالها، بينما أهل العلم وطلابه الذين جعلوا هجرتهم للّه ورسوله حجبوا عن الدعوة إلى اللّه قسراً وقهراً وكهراً؛ فلا يستطيعون قول كلمة في مجلس جامع؛ إلّا بإذن أو تصريح ... (!)

٢ - نبتت ظاهرة مسخت الدعوة إلى اللّه، وتبنتها بعض الجمعيات الحزبية، وهي تفريغ دعاة مقابل دراهم معدودة، فأصبحت الدعوة مطمعاً يتكالب عليه الأدعياء، ويتطاوَل إليها العاطلون .

---

(١) « سنن الدارمي » (١ / ١٥٧ - ١٥٨) .

(٢) « طبقات الشافعية الكبرى » (٥ / ٩٩) .

(٣) « تاريخ ابن الوردي » (٢ / ٤١١) .

٣ - انتشر بين كثير من طلبة العلم ترك أعمالهم، ومهنهم، تحت راية التفرغ لطلب العلم !

حتى إنَّ أحدهم - لِحاله - يسأل النَّاس إلحافاً، ليحصل على دريهمات يسد بها جوعه، أو يصرفها على أهل بيته .

ورحم اللَّه سفيان الثوري القائل نُصحاً لأخ له في اللَّه :

يا أخي ! عليك بالكسب الطيب وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فإنَّ الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل عليةٍ لرجل وسفله ليس له، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله، وتتهدم عليته، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه .

ويا أخي ! إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك، وأكرمت بعض النَّاس، وأهنت بعضهم مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإنَّ الذي يعطيك شيئاً من ماله فإنَّما هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب، وإن أنت تناولت من الناس شيئاً إن دعوك إلى منكر أجبتهم، وإنَّ الذي يأكل أوساخ النَّاس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم .

يا أخي ! جوع وقليل عبادة خير من أن تشبع من أوساخ النَّاس وكثير من العبادة .[1]

قلت : صدق وبَرّ؛ فإنَّ الرائد لا يُكذّب أهله، والناصح لا يُكذّب قومه، وداعي اللَّه كالنذير العُريان .

(١) « حلية الأولياء » (٧ / ٧١) .

اشتدادُ الفِتَن على مَرِّ الزَّمن

مشهور بن حسن

ها نحنُ نعود ثانية لنُكمل ما كنا قد بدأناه في العدد السابق من كلامٍ حولَ اشتداد الفتن على مر الزمن ، فنقول :

ثالثاً : ومن شدَّةِ ما يقعُ بالأمَّة من الفتن والعناء سيأتي عليهم زمانٌ يتمنَّون فيه الموت ، لقوله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول : يا ليتني مكانه » ، رواه البخاري ومسلم .

وذِكرُ الرجل هُنا وصفٌ طرديٌّ، فلا مفهوم له؛ فالمرأة مثله، لكن لما كان الغالبُ أنَّ الرجال هم المبتلون بالشدائد، والنساء محجوباتٌ لا يَصْلين نارَ الفِتنة خصَّهم بالذِّكر .

كُتبَ القَتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانياتِ جرُّ الذيول

وقوله ﷺ : « فيقول : يا ليتني مكانه » أي : ميتاً حتى أنجو من الكربِ ولا أرى من المحنِ والفِتن وتبديلِ وتغييرِ رسومِ الشريعة ما أرى؛ فيكون أعظم المصائب .

وهذا وإن لم يكن وقعَ فهو واقعٌ لا محالة، وقد قال بعضهم : سيأتي عليكم زمانٌ لو وجد أحدكم الموتَ يُباع لاشتراه، وعليه قول الشاعر :

وهذا العيشُ ما لا خيرَ فيه ألَا مَوتٌ يُباعُ فأشتريه

قال الحافظ العراقي :

ولا يلزمُ كونه في كلِّ بلدٍ ولا في كلِّ زمنٍ ولا في جميعِ النَّاس، بل يَصدُقُ على اتفاقه للبعضِ في بعضِ الأقطار في بعضِ الأزمان، وفي تعليق تمنِّيه بالمرورِ إشعارٌ بشدَّة ما نزلَ بالنَّاس من فَسادِ الحالِ حالتئذ، إذ المرء قد يتمنَّى الموتَ من غير استحضارٍ لهيئته، فإذا

شاهدَ الموتى ورأى القبورَ نشزَ بطبعهِ ونفرَ بسجيَّته من تمنِّيه، فَلِقُوَّة الشِّدة لم يصرفه عنه ما شاهده من وحشة القبور [1].

رابعاً : كيفَ لا، والنِّفاق في آخر الزمان يَعمُّ الأقطار حتى يغزو نفسَ المدينة النبويَّة التي هي معقلُ الإيمان ودارُه؛ ففي الحديث الصحيح : « إنَّ الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّة إلى جُحرها »[2]، ولكن مع ذلك فإنَّ أهلَها لا يستطيعون آخر الزمان الثَّبات على إيمانهم، فيتركونها استكباراً ونفاقاً وهي أحسنُ ما تكون من وفرَة الثِّمار والعمران ، ويأبون أن يجاوروا رسولَ اللَّه ﷺ، أو أن يوصَفوا بأنَّهم من سَكَنةِ المدينة، والعياذ باللَّه .

وقد ثبت الخبرُ الصحيحُ بذلك في قول رسول اللَّه ﷺ : « يَترُكون المدينة على غير ما كانت، لا يغشاها إلّا العوافي، وآخر من يحشر راعيان من مُزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنيَّة الوداع خرّا على وجوههما »[3].

وروى مالك عن ابن حِمَاس عن عمه عن أبي هريرة أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : « لتتركن المدينة على أحسنِ ما كانت حتى يدخلَ الكلبُ أو الذئبُ فَيُغَذِّي - أي : يبول دفعة بعد دفعة - على بعض سواري المسجد أو على المنبر » فقالوا : يا رسول اللَّه ! فلمن تكون الثمار ذلك الزمان ؟ قال : « للعوافي : الطير والسباع » .[4]

---

(١) « فيض القدير » (٤١٨/٦) .

(٢) رواه البخاري ومسلم . ويأرز : يَنضَمُّ ويجتمعُ .

(٣) رواه البخاري ومسلم . والعوافي : الطير والسباع - كما سيأتي .

(٤) رواه مالك في « الموطأ » (٨٨٨/٢)، وروى الحاكم - نحوه - في « المستدرك » (٤٢٦/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

وابن حِمَاس هو يوسف بن يونس بن حماس، ذكره ابن حبان في « الثقات » (٦٣٣/٧) وقال : ثقة، كان من عباد أهل المدينة لمح مرّة امرأة فدعا اللَّه فأذهب عينيه، ثم دعا اللَّه فردهما عليه .

قلت : وعلَّة الحديث جهالةُ عمّ ابن حماس، ولكن أشارَ الحافظُ في « الفتح » (٩٠/٤) إلى تقويته بالشواهد، واللَّه أعلم .

أفرأيت ؟ أهناك أشنع من هذه الفتنة، وأكثر منها هَولاً ؟ منبر رسول اللَّه ﷺ يأتي الذئب فيبول عليه، وسواري مسجد رسول اللَّه ﷺ التي صلَّى عندها كبارُ الصحابة وأفذاذُ الأعيان يبول عندها الكلبُ، فإذا كانت مثل هذه الفتنة العارمة تحدث في موطنِ الإيمان ولا يسلم منها مؤمنو المدينة، فكيفَ بمقدارِ الخطرِ الذي تفتحه الفتن في غيرها من البلادِ ؟

خامساً : ولقد أدرك الصحابةُ رضوان اللَّه عليهم والتابعون من بعدهم هذا الأمرَ إدراكاً واضحاً، وإليك الشاهد عليه :

١ - عن مَعْمَر عن الزُّهْري عن عروة عن عائشة قالت : قال لَبيد :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافِهِم ... وبقيتُ في خَلَفٍ كجلدِ الأجرَبِ

يتحدثون مخافةً وملاذةً ... ويُعابُ قائلُهُم وإن لم يَشْغَبِ

قال : ثم تقول عائشة : فكيف لو أدرك لبيد من نحن بين ظهرانيه ؟!

قال معمر : فكيف لو أدرك الزهري من نحن بين ظهرانيه ؟!

فأقول : فكيفَ لو أدرك معمر من نحن بين ظهرانيه، ونحن في العَقدِ الأخيرِ من القَرنِ العشرين ؟!

وورد مثل ذلك عن أبي الدرداء، وأنس بن مالك، وغيرهم من السَّلف الأوَّل .

○ (**تنبيهان**) :

الأول : إنَّ هذه الأحاديث ليست على عمومها وإطلاقها، بل هي من العامِّ المخصوص، والمطلقِ المُقيَّدِ، فلا يجوزُ إفهام النَّاس أن هذه الأحاديث على عمومها، فيقعوا في اليأس والقُنوط، بل يجب أن تُفهَم في ضوءِ الأحاديث المُتكاثرة التي فيها أن المستقبل للإسلام .

والآخر : إنَّ هذا التَّشخيص من رسول اللَّه ﷺ لداء هذه الأمة، واشتداد الفتن عليها إنما هو بسبب نقص العلم، فمتى علمت الأمة المحمدية بعلم رسول اللَّه ﷺ وعلم السَّلف والتزمت به ودعت إليه، فإنَّها تكون قد نالت نصيباً من الخيريَّة التي هي مقرَّرة لخير القُرون .

أَجوبةُ العلّامةِ الألبانيّ على أَسئلةِ جَبهةِ الإنقاذ - الجزائر

... حتى ينتفعَ المسلمون ... ويعرفوا مواقعَ أقدامهم، ويستفيدوا مِن تجاربهم، ويعرفوا مَكرَ عدوِّهم، ويفهموا نُصحَ مُخلِّصهم : كان لا بدَّ مِن النَّظر إلى الوراء نظرةَ تأمُّلٍ واعتبارٍ، حتى لا تتكرَّر الأخطاءُ ... والخطايا ... وحتى نعرفَ القيمةَ الحقيقيَّة لتوجيهاتِ النَّصيحةِ البَرَرَةِ مِن علماءِ الأُمَّة الرَّبانيِّين .

- التحرير -

نصُّ أسئلة جبهةِ الإنقاذ :

إنَّ الحمدَ للَّه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفُسنا ومِن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فَلا هاديَ له .

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله .

أما بعد : فيا شيخنا الفاضل المكرم :

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

فإنَّنا نبلغكم التحيةَ والسَّلام المفعَمين بالحبِّ والإخاءِ وغُرَر الثناءِ على مُحياكُم الأنور، ولمكارمِ لُطفكُم .

لا يخفى على تلك الفطنة العالية والقريحة الغالية أن تقدُّم الأمة إلى ذروة التَّمكين، ورسوخ أقدامها في منهل التمدن، لا يتسنى إلّا بعلمائها ودعاتها الربانيين، وكذا تمسكها بنباريس شُروحهم وبيانِهم إلى المشروع الإسلامي عامة .

وليس ببعيد عن حصافة عقلكم أنَّ الشَّعب الجزائري المسلم الذي سُلب منه مشروعه الإسلامي بعد الجهاد الذي انْدَثَرَ حقبة زمنية في تاريخه، يحاول اليوم - وهو ملتفٌّ حول الجبهة الإسلامية للإنقاذ أينما ارتحلت وحلت في ربوع البلاد - إلّا الخروجَ على بكرة أبيه بسواده الأعظم ليناصرها وينادي بتبني مشروعها الذي ينبثق من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح .

واليوم يقف معترِكُ التاريخ؛ إمَّا لوضع اللبنة الأولى في إقامة الدولة الإسلاميَّة أو تمكُّن المنهج التغريبي الصليبي اليهودي في هذا البلد المسلم .

وعليه؛ فإنَّنا نستنصركم في الدين لقوله تعالى : ﴿ وإن استَنصَرُوكُم في الدِّين فَعَليكُم النَّصر ﴾، فأجيبونا عن مسائلنا في أقرب الآجال قبل منتصف هذا الليل حتى تقوى شوكة المسلمين ويزداد سعيهم إلى هذه المهمَّة الشَّرعية والتَّاريخية .

والأسئلة هي ما يلي :

السؤال الأول : ما الحكم الشرعي في الانتخابات التشريعية (ما يسمى بالبرلمان)، التي نسعى من خلالها إلى إقامة الدولة الإسلامية، وإعادة الخلافة الراشدة ؟

السؤال الثاني : ما الحكم الشرعي في النصرة والتأييد المتعلِّقَين بالمسألة المشار إليها سابقاً (الانتخابات التشريعية) ؟

السؤال الثالث : حكم خروج النساء للانتخابات التشريعية ؟

السؤال الرابع : الأحكام الشرعية المتعلقة بأنماط العمل الشرعي في (البرلمان) ورجالاته ؟

السؤال الخامس : تأييدكم مُدَبَّجاً لهذا الأمر ؟

السؤال السادس : نصائح وإرشادات شرعيَّة لهذه المهامّ الجسام .

وتقبَّلوا في الأخير - شيخنا الفاضل المكرم - تحيات الأمة الجزائرية المسلمة، وتَوْقَنا لِلُقياكُم والمحبَّة المفعمة بالإخاء ، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

ملاحظة : لِعلمكم أنَّ الانتخابات التشريعية تكون بعد غدٍ الخميس 19 جمادى الثاني 1412 هـ .

وكان جوابُ الشيخ الألباني - حفظه اللَّه - ما يلي :

بسم اللَّه الرَّحمن الرحيم

إنَّ الحمد للَّه، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّه من شرورِ أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه اللَّه فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فَلا هاديَ له .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللَّه وحدَه لا شريك لهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله .

أما بعد؛ فإلى لجنة الدعوة والإرشاد في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته .

وبعد؛ فقد تلقيت أَصِيلَ هذا اليوم الثلاثاء الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ رسالتكم المرسلة إلي، فقرأتها، وعلمت ما فيها من الأسئلة المتعلقة بالانتخابات التي قلتم إنَّها ستجري عندكم يوم الخميس أي بعد غد، ورغبتم مني التعجيل بإرسال أجوبتي عليها، فبادرت إلى كتابتها ليلة الأربعاء لإرسالها إليكم أيضاً صباحَ هذا اليوم - إن شاء اللَّه تعالى - شاكراً لكم حسنَ ظنكم بأخيكم، وَطِيبَ ثنائكم عليه الذي لا يستحقه، سائلاً المولى سبحانه وتعالى لكم التوفيق في دعوتكم وإرشادكم .

وإليكم الآن ما يسَّر اللَّه لي من الإجابة على أسئلتكم، راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يلهمني السَّداد والصَّواب في ذلك :

السؤال الأول : ما الحكم الشرعي في الانتخابات التشريعية (ما يسمى بالبرلمان)، التي نسعى من خلالها إلى إقامة الدولة الإسلامية، وإعادة الخلافة الراشدة ؟

الجواب : إنَّ أسعدَ ما يكون المسلمون في بلادهم يوم تُرفع راية (لا إله إلّا اللَّه) وأن يكون الحكم فيها بما أنزل اللَّه .

وإنَّ مما لا شكَّ فيه : أنَّ على المسلمين جميعاً - كلٌّ حسبَ استطاعته - أن يسعوا إلى إقامة الدَّولة المسلمة التي تحكم بكتاب اللَّه وسنَّة رسول اللَّه ﷺ وعلى منهج السَّلف الصَّالح، ومن المقطوع به عند كلِّ باحث مسلم أنَّ ذلك لا يمكن أن يتحقَّق إلّا بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح .

وأوَّل ذلك أن يقوم **جماعة من العلماء** بأمرين هامين جدّاً :

الأوَّل : تقديم العلم النَّافع إلى مَن حولهم من المسلمين، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بأن يقوموا بتصفية العلم الذي توارثوه مما دخل فيه من الشركيات والوثنيات حتى صارَ أكثرهم لايعرفونَ معنى قولهم : (لا إله إلّا اللَّه)، وأنَّ هذه الكلمة الطيبة تستلزم توحيد اللَّه في عبادته تعالى وحدَه لا شريك له، فلا يستغاث إلّا به، ولا يذبح ولا ينذر إلّا له، وأن لا يعبدوه تعالى إلّا بما شرعَ اللَّه على لسان رسول اللَّه ﷺ، وأنَّ هذا من مستلزمات قولهم : (محمَّد رسول اللَّه)، وهذا يقتضيهم أن يُصَفُّوا كتب الفقه مما فيها من الآراء والاجتهادات المخالفة للسنَّة الصحيحة حتى تكون عبادتهم مقبولة، وذلك يستلزم تصفية السنَّة مما دخلَ فيها على مرِّ الأيَّام من الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة، كما يستلزم ذلك تصفية السلوك من الانحرافات الموجودة في الطرق الصوفية، والغلو في العبادة والزهد، إلى غير ذلك من الأمور التي تنافي العلم النَّافع .

والآخر : أن يُرَبُّوا أنفسهم وذويهم ومَن حولَهم من المسلمين على هذا العلم النَّافع .

ويومئذ يكون علمهم نافعاً وعملهم صالحاً كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كان يرجو لقاءَ ربِّه فَليَعمَل عَملاً صالحاً ولا يُشرِك بِعبادَةِ ربِّه أحداً ﴾ .

وحينئذٍ إذا قامت جماعة من المسلمين على هذه التَّصفية والتربية الشرعيَّة فسوف لا تجد فيهم من يختلط عليه الوسيلة الشركية بالوسيلة الشرعية؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ النَّبي ﷺ قد جاءَهم بشريعة كاملة بمقاصدها، ووسائلها، **ومن مقاصدها مثلاً النَّهي عن التشبُّه بالكفار وتبنِّي وسائلهم ونُظُمهم التي تتناسب مع تقاليدهم وعادتهم، ومنها اختيار الحُكَّام والنواب بطريقة الانتخابات، فإنَّ هذه الوسيلة تتناسب مع كفرهم وجهلهم الذي لا يُفَرِّقُ بين الإيمان والكفر ولا بين الصَّالح والطَّالح ولا بين الذكر والأُنثى، وربُّنا يقول : ﴿ أفَنَجعَلُ المُسلمينَ كالمُجرمين ما لكُم كيفَ تَحكُمون ﴾ ويقول : ﴿ وليسَ الذَّكر كالأُنثى ﴾ !**

وكذلك يعلمون أنَّ النَّبي ﷺ إنَّما بدأ بإقامة الدولة المسلمة بالدَّعوة إلى التَّوحيد والتحذير من عبادة الطواغيت، وتربية من يستجيب لدعوته على الأحكام الشرعية حتى صاروا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيح، ولم يكن فيهم من يُصِرُّ على ارتكاب الموبقات والربا والزنا والسرقات إلّا ما ندر .

فمن كان يريد أن يقيم الدولة المسلمة حقّاً **لا يُكتِّل النَّاس ولا يُجمِّعهم على ما بينهم من اختلاف فكري وتربوي كما هو شأن الأحزاب الإسلامية المعروفة اليوم،** بل لا بد من توحيد أفكارهم ومفاهيمهم على الأصول الإسلامية الصحيحة : الكتاب والسنة على منهج السَّلف الصَّالح كما تقدَّم، ﴿ ويَومئذٍ يَفرَحُ المُؤمنونَ بِنَصرِ اللَّه ﴾ .

فمن أعرضَ عن هذا المنهج في إقامة الدَّولة المسلمة، **وسلك سبيل الكفار في**

إقامة دولتهم، فإنَّما هو (كالمُستجير من الرَّمضاءِ بالنَّار) ! وحسبه خطأً - إنْ لم أقُل : إثماً - أنَّه خالف هديه ﷺ ولم يتخذه أُسوة، واللَّه عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ لَقَد كان لكُم في رَسولِ اللَّه أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يَرجو اللَّهَ واليوم الآخر وَذَكر اللَّه كثيراً ﴾ .

السؤال الثاني : ما الحكم الشرعي في النصرة والتأييد المتعلِّقَين بالمسألة المشار إليها سابقاً (الانتخابات التشريعية) ؟

الجواب : في الوقت الذي لا ننصح أحداً من إخواننا المسلمين أن يُرشِّح نفسه ليكون نائباً في برلمان لا يحكم بما أنزل اللَّه، وإنْ كان قد نصَّ في دستوره أنَّ (دين الدَّولة الإسلام) ! فإنَّ هذا النَّص قد ثبت عمليّاً أنَّهُ وضع لتخدير أعضاء النواب الطَّيبي القلوب !! ذلك لأنَّه لا يستطيع أن يغير شيئاً من مواد الدستور المخالفة للإسلام، كما ثبت عملياً في بعض البلاد التي في دستورها النَّص المذكور .

هذا إذا لم يتورَّط مع الزَّمن أن يُقِرَّ بعض الأحكام المخالفة للإسلام بدعوى أنَّ الوقت لم يحن بعد لِتَغييرها، كما رأينا في بعض البلاد؛ يغير النائب زيَّه الإسلامي، ويتزيَّا بالزَّيِّ الغربيّ مسايرة منه لسائر النوَّاب ! **فدخل البرلمان ليصلح غيره فأفسد نفسه، وأوَّل الغيث قَطرٌ ثم ينهمر ! لذلك فنحن لا ننصح أحداً أن يُرَشِّح نفسه .**

ولكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشحين من يعادي الإسلام، وفيهم مرشحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج، فننصح - والحالة هذه - كلّ مسلم أن ينتخب من الإسلاميِّين فقط **ومن هو أقرب إلى المنهج العلمي الصَّحيح** الذي تقدم بيانه .

أقول هذا - **وإن كنت أعتقد أنَّ هذا الترشيح والانتخاب لا يُحَقِّق الهدف المنشود** كما تقدم بيانه - من باب تقليل الشر، أو من **باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى** كما يقول الفقهاء .

السؤال الثالث : حكم خروج النساء للانتخابات ؟

الجواب : يجوز لهن الخروج بالشرط المعروف في حقهن وهو أن يتجلببن الجلباب الشرعي، وأن لا يختلطن بالرجال، هذا أوَّلاً .

ثمَّ أن ينتخبنَ من هو الأقرب إلى المنهج العلمي الصحيح من باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى كما تقدم .

السؤال الرابع : الأحكام الشرعية المتعلقة بأنماط العمل الشرعي في (البرلمان) ورجالاته ؟

الجواب : فنقول : هذا سؤال غامض، مرادكم منه غير ظاهر لنا، ذلك لأنَّ المفروض أنَّ النائب المسلم لا بدَّ أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية على اختلاف أشكالها وأنواعها، فإذا ما طُرِحَ أمرٌ ما على بساطِ البحث فلا بدَّ أن يوزَن بميزان الشَّرع، فما وافقَ الشَّرع أيَّده، **وإلّا رفضه؛ كالثِّقة بالحكومة، والقسم على تأييد الدستور ونحو ذلك !!**

وأما رجالات البرلمان ! فلعلّكم تعنون : ما موقف النواب الإسلاميين من رجالات البرلمان الآخرين ؟ فإن كان ذلك مرادكم فلا شك أنَّهُ يجب على المسلمين نواباً وناخبين أن يكونوا مع من كان منهم على الحقِّ كما قال ربُّ العالمين : ﴿ وكونوا مع الصَّادقين ﴾ .

وأمَّا **السؤال الخامس والسادس** : فجوابهما يُفهم مما تقدم من الأجوبة .

ونضيف إلى ذلك **أن لا يكون همُكم معشر الجبهة الإسلاميَّة الوصولَ إلى الحكم قبل أن يصبح الشعب مهيئاً لقبول الحكم بالإسلام**، ولا يكون ذلك إلّا بفتح المعاهد والمدارس التي يتعلم فيها الشعب أحكام دينه على الوجه الصحيح، ويُرَبَّى على العمل بها، **ولا يكون فيهم اختلاف جذري ينشأ منه التحزب والتفرق كما هو الواقع الآن مع الأسف في الأفغان**، ولذلك قال ربنا في القرآن : ﴿ وَلا تكونوا مِن

المشركين مِن الَّذينَ فَرَّقوا دينَهُم وكانوا شيعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ ﴾، وقال رسول اللَّه ﷺ : « لا تقاطَعوا ولا تَدابَروا، ولا تَباغَضوا ولا تَحاسَدوا، وكونوا عبادَ اللَّهِ إخواناً كما أمركم اللَّه » رواه مسلم .

فعليكم إذن بالتَّصفية، والتَّربية، والتأنِّي، فإنَّ التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان، كما قال نبينا عليه الصَّلاة والسَّلام، ولذلك قيل : **من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه**، ومن رأى العبرة بغيره فليعتبر، فقد جرَّب بعض الإسلاميين من قبلكم في غير ما بلد إسلامي الدخولَ في البرلمان بقصد إقامة دولة الإسلام، فلم يرجعوا من ذلك **ولا بِخُفَّي حُنين** ! ذلك لأنَّهم لم يعملوا بالحكمة القائلة : « أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم » وهذا كما قال ﷺ : « إنَّ اللَّهَ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، **ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » رواه مسلم .

فاللَّهَ سبحانه وتعالى أسألُ أن يلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويهدينا للعمل بشرعةِ ربنا، متبعين في ذلك سنة نبينا، ومنهج سلفنا، فإنَّ الخير كله في الاتِّباع، والشر كله في الابتداع، وأن يُفرِّج عنّا ما أهمَّنا وأغمَّنا، وأن ينصرنا على من عادانا، إنَّهُ سميعٌ مجيبٌ .

عمان، صباح الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ .

وكتب

محمد ناصرالدين الألباني

أبو عبدالرحمن

مباحث عقيدية

أَقسامُ التَّوحيد

علي بن حسن

مما استقرَّ في قلوبِ دعاةِ منهج السَّلف، وحَمَلَةِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ النَّقيَّةِ : تَقسيمهُم التَّوحيد إلى أقسامٍ ثلاثةٍ :

أ - توحيد الربوبيَّة .

ب - توحيد الأُلوهيَّة .

ج - توحيد الأسماء والصِّفات .

وهذا التقسيمُ تَتَبُّعيٌّ استقرائيٌّ نَتَجَ عن تأمُّلٍ عميقٍ وفهمٍ دقيقٍ في آياتِ القرآن العظيم، وأحاديث الرسولِ الكريم ﷺ .

ولقد زَعمَ (بعضهم) أنَّ هذا التقسيمَ مُحدَثٌ لا دليلَ عليه، ولم يُسبق شيخُ الإسلام ابن تيمية إليه !!

ولما كان هذا الزعمُ غارقاً في البُطلان، جليّاً في الفساد والنُّكران، كان لا بدَّ من ذكرِ نُبذةٍ علميَّةٍ تنقضُ على هؤلاء المتكلِّمين بغير علمٍ قولَهم الباطل، وتُفشِلُ عليهم رأيَهُم العاطِل .

فأبدأُ - قبلَ كلِّ شيءٍ - بالإشارةِ إلى أنَّ أقسامَ التوحيد الثلاثة هذه قد تضمَّنَتها سُوَرٌ كثيرةٌ من القرآنِ الكريمِ؛ وأجلى ذلك وأبيَنُهُ سورتا الفاتحة والنَّاس، وهما مفتتحُ القرآنِ ومختَتَمُهُ ... حِكمةٌ بالغةٌ ...

فقوله سبحانه : ﴿ الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ﴾ فيه إثباتٌ لربوبيَّته جلَّ وعلا

لجميع الخلائق .

وقوله سبحانه : ﴿ الرَّحمن الرّحيم مالك يوم الدِّين ﴾ فيه إثباتٌ لصفاتهِ العُلى وأسمائهِ الحُسنى .

وقولهُ سبحانه : ﴿ إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نَستَعين ﴾ فيه إثباتُ عبوديَّة الخلائق له، وألوهيَّتهُ - سبحانه - لهم .

قال الإمام ابنُ عطيَّة المتوفَّى سنة (٥٤٦ هـ) في « المحرّر الوجيز » (٧٥/١) :

« قوله تعالى : إيَّاك نعبدُ، نُطقُ المؤمن به **إقرارٌ بالرُّبوبيَّة**، وتذلُّلٌ وتحقيقٌ **لعبادةِ اللَّهِ**، إذ سائرُ النَّاس يعبدونَ سواه مِن أصنام وغير ذلك » .

قلت : وعلى النَّسق ذاتهِ مُفتتحُ سورةِ النَّاس :

فقوله سبحانه : ﴿ قل أعوذُ بربِّ النَّاس مَلِك النَّاس ﴾ إثبات لتوحيد الرُّبوبيَّة .

وقوله سبحانه : ﴿ إله النَّاس ﴾ إثباتٌ لتوحيد الألوهية .

والآياتُ الثلاثُ السابقة نفسها مُتضمِّنةٌ بذاتِها توحيد الأسماءِ والصِّفات .

قال العلّامة الماوَردي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) في تفسيره المسمَّى « النكت والعيون » (٣٧٨/٦) :

« ﴿ قل أعوذُ بربِّ النَّاس ﴾، إنَّما ذكر أنَّه ربُّ النَّاس، وإنْ كان ربّاً لجميعِ الخَلقِ لأمرين :

أحدهما : لأنَّ النَّاس مُعظَّمون، فأعلَمَ بذكرهم **أنَّه ربٌّ لهم**، وإنْ عَظُمُوا .

الثاني : لأنَّه أمر بالاستعاذةِ من شرِّهم، فأعلَمَ بذكرهم أنَّه هو الذي يُعيذُ منهم .

﴿ ملك النَّاس إله النَّاس ﴾ : لأنَّ في النَّاس ملوكاً، فذكر أنَّه مَلِكُهم، وفي النَّاس من يعبد غيرَه **فذكر أنَّه إلههم ومعبودهم** » .

أقولُ : وهذا التقسيمُ المشارُ إليه هو كتقسيم النُّحاةِ كلامَ العرب إلى : اسمٍ وفعلٍ وحَرفٍ .

فهل من غضاضةٍ في ذلك مَع مطابقتهِ لواقعِ الأمر وحقيقته ؟!

بل إنَّ (المنكرين) أنفسهم لهم تقسيماتٌ (محدثة) لتوحيدهم، فيقولون : توحيد علميّ خبري وتوحيد إرادي طَلَبي !!

بل يُقَسِّمونَ أقسامَ التوحيد نفسَها، فيقولون :

الصفات الواجبةِ، الصفات السلبيَّةِ، صفات المعاني، الصفات الثبوتيّة !!

وهذه التقسيماتُ أَوْلى بالردِّ وأجدرُ بالنَّقد؛ لأنَّها لم تُبنَ أصلاً على قاعدةٍ ثابتةٍ من الدليل والبُرهان .

فما بالهم – هداهم اللَّه – يُنكرون على غيرهم ما هم غارقونَ فيه ؟!

وغيرهم بنى كلامه على الدليل، وهم (!) أقاموه على مَحض الأقاويل !!

ثم إنَّ (أكابرَ) من (أكابرهم) يُثبتون هذا التقسيم !!

نعم؛ بعضهم يجعله تقسيماً اصطلاحياً !! ونحن (نتنزّلُ) معهم – لحالهم – في مثل هذا التقسيم، لأنَّ غايته وثمرته هي التسليمُ بالتَّأصيل الكُلِّي لقواعدِ التَّوحيد بأقسامهِ الثلاثةِ :

قال البَيْجوري (!) في « شرح جوهرة التوحيد » (ص٩٧) :

« ﴿ الحمدُ للَّه ربِّ العالمين ﴾ :

يُشيرُ إلى تقريرِ توحيد الربوبيَّة، المُتَرتِّب عليه توحيد الألوهيَّة المقتضي من الخلق تحقيق العبودية، وهو ما يجبُ على العبدِ أوَّلاً من معرفة اللَّه سبحانه وتعالى، **والحاصلُ : أنَّه لا يلزمُ من توحيد العبودية توحيدُ الربوبية، دون العكس في القضيَّة،** لقوله تعالى : ﴿ وَلَئن سَأَلتَهُم مَن خلقَ السَّمواتِ والأرضِ ليَقولُنَّ اللَّهُ ﴾ .

وقوله حكايةً عنهم : ﴿ ما نعبُدهم إلّا ليقرِّبونا إلى اللَّهِ زُلفى ﴾ .

بل غالبُ سُورِ القرآنِ وآياتهِ مُتضمِّنةٌ نوعي التَّوحيد، بل القرآنُ من أوَّلهِ إلى آخرهِ في بيانهما، وتحقيقِ شأنهما » .

وقال أبو غُدَّة (!) في « كلماته » (ص٣٧) :

« وأما تقسيمُ التوحيد إلى ما ذكره هؤلاء الأئمَّة : شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم اللَّه تعالى : إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فهذا تقسيمٌ اصطلاحيٌّ استقاه العلماءُ مما جاءَ في الكتاب والسنَّة في مواضعَ لا تُحصى، مما ردَّ اللَّهُ تعالى به على المشركين الذين كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبيَّة دون توحيد الألوهية، في سورة الفاتحة التي يقرأُها المسلم في صلاته مراتٍ كل يوم : دليلٌ على ذلك ﴿ الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . الرَّحمن الرَّحيم . مالك يوم الدِّين . إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعين ﴾ » .

هذا كلامهم (!)، فما بال أتباعهم - بل (مُقلِّديهم) - يقبلونه منهم ! ويردُّونه مِن غيرهم !!

وما أجمل قول الشيخ بكر أبو زيد في رسالته « التحذير .. » (ص ٣٠) حول تقسيم التوحيد :

« وهذا التقسيم الاستقرائي لدى مُتقدِّمي علماء السَّلف أشار إليه ابن مندَه وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرَّره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرَّره الزَّبيدي في « تاج العروس » وشيخنا الشنقيطي في « أضواء البيان »، في آخرين رحم اللَّه الجميع .

وهو استقراءٌ تام لنصوص الشرع وهو مطّردٌ لدى أهل كل فنٍّ كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف)، والعرب لم تَفُه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهذا من أنواع الاستقراء » .

وخُلاصة القولِ : إنَّ تقسيمَ التَّوحيد إلى أقسامٍ ثلاثةٍ، - ربوبيَّة وألوهيَّة وأسماء وصفات - تقسيمٌ علميٌّ استقرائيٌّ جارٍ على أصولِ العلمِ وقواعدِ أهلِهِ .

ومَن خالفَ في ذلك لم يفقَه كتابَ اللَّه، ولم يعرف قدره سبحانه، فعرفَ شيئاً وغابَت عنه أشياءُ ، واللَّهُ الهادي مَن يشاءُ إلى صراط مستقيم .

من جعبة التاريخ

كرهتُ أن أُشمِتَك في الإسلام

سليم بن عيد الهلالي

إنَّ المواقفَ أبلغُ من الكلمات؛ لأنَّها ترقى إلى علياءِ الاستجابة، حيث تبرزُ نماذجُ المؤمنين الذينَ صدقوا ما عاهدوا اللَّهَ عليه، فمنهم من قضى نحبَه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً، هذه النماذج التي إذا تُذكَرُ مواقفها يَكتَمل الإيمانُ، ويستحكم التّوكُل على اللَّه، وتتجلى نفحاتُ قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّبي حَسبُكَ اللَّهُ ومَن اتَّبعكَ مِن المؤمنين ﴾ .

ولقد كان رجالٌ أماثلُ في جيل القدوة الأوَّل الذي غرسه اللَّه واستعمله في طاعته، وربّاه نبيُّه محمدٌ ﷺ على عينه، فأخرج شطأه فآزره، فاستغلظ، فاستوى على سوقه يعجب الزُّراعَ ليغيظ بهم الكفّار .

لقد حفظ التاريخُ في ذاكرته أنَّ عمرَ بن الخطاب وجّه جيشاً إلى الروم، فَأَسَرُوا عبداللَّه بن حُذافة السَّهمي، فذهبوا به إلى مَلِكهم، فقالوا : إنَّ هذا من أصحاب محمد .

فأمر به ملكُهم، فجُرِّبَ بأشياء صبرَ عليها، ثم جعلوا له في بيتٍ معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثاً لا يأكل، فأطلُّوا عليه، فقالوا للملك : قد انثنى عُنقُه، فإن أخرجته وإلّا مات، فأخرجه، وقال : ما منعك أن تأكلَ وتشرب ؟

هنالك ابتُليَ الإيمانُ، وزُلزلَ التوكُّل، ولكنَّ الأصلَ الثابت آتى أُكُلَه بإذن اللَّه، فقال عبداللَّه بن حذافة : **أَمَا إنَّ الضَّرورةَ كانت قد أحلَّتها لي، ولكن كرهتُ أن أُشمِتَك بالإسلام** .

فقال : هل لك أن تَتَنَصَّر وأعطِيكَ نصفَ ملكي ؟

هنا استعلى الإيمانُ، وقلقل الطغيان، وثبّت اللّه الذينَ آمنوا بالقولِ الثابت، فقال عبداللّه : لو أعطيتني ما تملك، وجميع ما تملك العربُ ما رجعت عن دين محمد طرفةَ عَين .

إنَّه الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوّة متكبّرة، ولا عُرفٍ اجتماعيٍّ سائد، ولا تشريع وضعي باطل يحكم، ولا هوى مقبول عند النّاس لا يستمد وجوده من الحقّ والإيمانِ .

هذه الحالة ليست مجردَ زعامةٍ مفردةٍ، أو نخوةٍ عابرةٍ، أو حماسةٍ ثائرةٍ، وإنّما هو الاستعلاءُ القائمُ على الحقِّ الثابت المركوز في النّفس المؤمنة التي خضعت لقول اللّه : ﴿ ولا تَهِنُوا وَلا تَحزَنوا وأنتُم الأعلَونَ إنْ كنتُم مؤمنين ﴾ إنَّه الحقُّ الموصولُ باللّه الحيِّ الذي لا يموت .

ولن يتركَ اللّهُ المؤمنَ وحيداً ينوء به الثّقلُ، ويهدُّه الوهنُ والترقُّب، فيجيء العون والتثبيت من ربِّ العالمين الذي يملأ نفس المؤمن عزيمةً وثباتاً واستعلاء .

إنَّ المؤمن هوَ أعلى مصدراً وسنداً ... فما تكون الأرض كلُّها ؟ وما تكون المجتمعاتُ التي تعيثُ فَساداً ؟ وما تكون القِيَمُ التي تَنشر سِفاداً ؟ وهو يتلقّى من اللّه، وإليه يرجع وعلى منهجه يَسير .

ويضجُّ الباطل ويصخبُ، ويرفعُ عقيرتَه ويعربدُ وينفشُ ريشَه، وتحيط به الهالاتُ المصطنعةُ التي تغشى على الأبصار والبصائر فلا ترى ما وراء الهالات من قبح تائه دميم، وشُحٍّ كالح لئيم، فقال طاغية الروم : إذاً أقتلك .

ولكن المؤمن ينظر بنور اللّه، فينظر من عَلٍ إلى الباطل المنتفشِ المنتفخِ، وإلى الجموعِ المخدوعةِ، فلا يهن ولا يحزن، ولا ينقص إصرارُه على الحقِّ الذي معه، وثباتُه على المنهجِ الذي يتبعه، ولا تفتر همَّته أمام سياطِ الجلاوِزَةِ الجزّارين، فقال عبداللّه : أنت وذاك .

فأمر به، فصُلب، وقال طاغية الروم للرماة : إرموهُ قريباً من بَدنه، وهو يعرضُ

عليه، ويأبى .

ثمَّ بكى، فقيل لطاغية الروم : إنَّه بكى، فظنَّ أنَّه قد جزع .

فقال طاغية الروم : رُدُّوه، ما أبكاك ؟

ولكن المؤمنين صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلَّقة بجنان الخُلد في مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ، لأنَّها تعلنُ أنَّها في هذه الدُّنيا في دارِ غُربةٍ فهي دائماً تطلبُ وطنَها في الملأ الأعلى، وتحنُّ إليه حنينَ الطير إلى أوكارها .

ورحم اللَّه ابن قيِّم الجوزيَّة القائل :

وحيَّ على جنَّاتِ عدنٍ فإنَّها ... منازلُك الأولى وفيها المُخيَّمُ

ولكنَّنا سبيُ العدوِّ فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا فنسلم

حينئذ قال عبداللَّه : هذه نفسٌ واحدةٌ تُلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النَّار في اللَّه .

وأمام هذا الثَّبات انهارت أمانيُّ طاغية الروم ورضي بالدون فما دون ، فقال : هل لك أن تُقبِّلَ رأسي وأخلي عنك ؟

ويراها عبدُاللَّه فرصةً سانحةً ليطلق أسارى المسلمين - دونَ تنازلٍ عن أحكام اللَّه - فيدفع البلاءَ عن فرسان المؤمنين فيقول : وعن جميع الأسارى !

فقال طاغية الروم : نعم، فقبَّل عبداللَّه رأسَه !

إنَّها القمَّةُ في الإيثار التي تجاوز حدود النَّفس الضيِّقة، لأنَّها لا تعيش في جنبات هذا الجسد الترابي، بل تحوم في أرجاء الجسد الإيمانيِّ الذي يتكون من توادّ المسلمين وتعاطفهم وتراحمهم؛ فَيُؤْثرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ .

وَقَدِمَ عبداللَّه بن حُذافة بالأسارى على عمرَ، فأخبره الخبرَ .

فقال عمر: **حقٌّ على كلّ مسلم أن يُقَبِّل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ فقبَّل رأسه.**

وهكذا يكون تقديرُ الرجالِ لا تقديسهم ...

ولا يعرف الفضلَ لأهلِ الفضل إلّا ذوو الفَضل .

تقديرُ (المصلحةِ) كيفَ .. و .. لِمَن ؟!

علي بن حسن

يُواجهُ كثيرٌ مِن الدعاةِ عبرَ طريقهم الدَّعوي الشَّائك الطويلِ مُشكلاتٍ مُتَعدِّدةً، تختلفُ فيها وجهاتُ نظرِهم، ويختلفون في تَحريرها وتقديرها .

ومن هذه المشكلات (الدَّعويَّة) التي تتكرَّرُ، وتتكرَّرُ دونما معرفةِ حدٍّ فاصلٍ مُنضبطٍ فيها : مسألة تقدير (المصلحة) كيف تكون ؟ ولمن تكون ؟

فكثيرةٌ – أيضاً – هي الإشكاليّاتُ التي يتقاربُ فيها ميزانُ المصلحةِ والمفسدةِ، وتتغايرُ إليها – على ضوء ذلك – التوجُّهاتُ والنَّظراتُ :

فمن مُرَجِّحٍ المفسدةَ على المصلحةِ؛ لأُمورٍ قامت في نفسه !

ومِن مُرجِّحٍ المصلحةَ على المفسدةِ؛ لوجوهٍ انقدحت في قلبهِ !

فلو غلبَ على ظنِّ أحدٍ من الدُعاةِ أو طُلّابِ العلمِ أنَّه لو ألقى مُحاضرةً ما، أو كتبَ كتاباً ما؛ أنَّ المصلحة في ذلك هي الراجحةُ ... لكان ذلك – إن خرجَ من نفسٍ مؤمنةٍ نقيَّةٍ ونظرةٍ شرعيَّةٍ علميَّةٍ – صواباً غيرَ مُندفعٍ عند نفسه !

ولو أنَّ أحداً – في المسألة ذاتها؛ مُحاضرةً أو كتاباً – رأى المصلحةَ في خلافِ ذلك، لجوَّزنا له دونَ تردُّدٍ أو لأْيٍ أن يُناقشَ .. أو يَرُدَّ .. أو ينقُدَ .. لأنَّ (المسألة) ممَّا يَسَعُ (النَّظرُ) فيها، دونَ ظنونٍ .. أو شكوكٍ .. أو اتِّهامات .. أو كلماتٍ جارحات !

إذَنْ؛ النَّظرُ في (اتجاهٍ واحدٍ) لأمثال هذه المسائل مما لا يُساعدُ عليه فقهٌ ولا اجتهادٌ، بل لا بدَّ من التماس العذرِ في تَقديرِ المصلحةِ والمفسدةِ، إن صدرَ ذلك ممَّن هو لهذا أهلٌ .

نعم؛ ليس هُناك مصلحةٌ (مزعومةٌ) أو (مدَّعاةٌ) في مسألةٍ تُخالفُ نصّاً شرعيّاً، أو هَدياً نبويّاً .. إذ المصلحةُ كلّها في تطبيقه وتنفيذه .. ما لم تحُل موانعُ فوقَ الوُسعِ .

ولو أنَّ ترجيحَ المصلحةِ أو المفسدةِ قد أشكلَ على الداعيةِ أو طالبِ العلمِ، ماذا يفعلُ ؟!

قال العلّامةُ ابن القيِّم رحمه اللّه في « مدارج السالكين » (١/٤٩٦) :

« إذا أشكلَ على الناظر أو السالك حُكمُ شيءٍ : هل هو الإباحةُ أو التحريمُ ؟ فَليَنظُر إلى مفسدته، وثمرته، وغايته؛ فإن كان يشتملُ على مفسدةٍ راجحةٍ ظاهرةٍ، فإنَّه يستحيلُ على الشارعِ الأمرُ به، أو إباحتُه، بل العلم بتحريمه من شرعهِ قطعيٌّ، ولا سيَّما إذا كان طريقاً مُفضياً إلى ما يُغضب اللَّهَ ورسولَه، مُوصلاً إليه عن قربٍ، وهو رُقيَةٌ له، ورائدٌ، وبريدٌ، فهذا لا يشُكُّ في تحريمِهِ أولو البصائر » .

ولكي لا نُخلي المقامَ مِن ضَربِ أمثلةٍ تُشير إلى ما أسلفتُ، أقولُ :

قد صحَّ في السُّنَّةِ [1] أمرُ النَّبي ﷺ بعضَ صحابتهِ رضوانُ اللّه عليهم بأن لا يُصَلُّوا العصرَ إلّا في بني قُريظةَ؛ فاختلفوا - رضي اللّه عنهم - إلى رأيَين؛ فمنهم مَن رجَّح أنَّ مُرادَ الرَّسولِ ﷺ الحثُّ على الإسراع، ومنهم من رجَّح أنَّ مُرادَهُ ﷺ لزومُ الصَّلاةِ هناكَ في بني قُريظة .

فكلٌّ مِن الطائفتين رجَّحت - اجتهاداً - وجهَ المصلحة من الأمرِ النَّبوي؛ دَفعاً لمفسدةِ المخالفةِ، أو ردّاً لمفسدةِ تأخير الصَّلاة !

ولمّا ذُكِرَ ذلك للنَّبي ﷺ « لم يُعَنِّف واحداً منهم »، إقراراً للفهم النَّابع من ترجيحِ المصلحةِ، وَلِعَدمِ وجود مُرجِّح - عندهم - لإحدى المصلحتين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

ولقد صحَّ - أيضاً -[1] في السُّنَّة قصَّة ذلك الصَّحابي الذي شُجَّ شَجَّةً في رأسِهِ، ثم احتلم، فسأل أصحابهُ : هل تجدونَ لي رُخصةً ؟ قالوا : ما نجدُ لك رُخصةً وأنت تقدرُ على الماء، فاغتسلَ، فمات، فلمّا قَدِموا على النَّبي ﷺ أُخبِرَ بذلك، فقال : « قَتَلوه قاتلهُم اللَّه، ألا سَأَلوا إذ لم يَعلَموا ؟! فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السؤال » .

... فهذه قصَّةٌ مُعاكسةٌ لسابقتها تماماً، بمعنى أنَّ أولئك الآمرين لم يكُن ترجيحهم للغُسلِ مُوافقاً لثمرةِ العَمل ومآله، معَ أنَّهم في ترجيحهم المذكور خَرجوا من نظرةٍ (حَسِبوها) قائمةً على ترجيح المصلحةِ على المفسدة !! لكن قد وقعَ - لهم وعليهم - العكسُ من ذلك تماماً !!

ولكن يَبرُزُ هنا سؤالٌ : متى عَرفَ (هؤلاءِ) نتيجةَ عملهم العكسيَّة ؟!

أحينَ الفُتيا ؟!!

أم حينَ موتِ الرجل ؟!

أم حينَ أُخبرَ رسولُ اللَّه ﷺ وأعطى - بالتالي - حُكمَه ؟!

لذا؛ فلا بدَّ للناظرِ في الأُمورِ من أن يكونَ ذا قدرةٍ علميَّةٍ عاليةٍ في تقديرِ (المصلحةِ) بعيداً عن (العواطف) النفسية، مُتجنِّباً (الاعتبارات الشخصية) المحضَة ! جاعلاً همَّه الأعلى تبليغَ الحقِّ بأحسنِ حالٍ وأرجح مصلحةٍ .

فإنْ خالفَه أحدٌ في هذه القضيَّةِ الجليلةِ، عليه أن ينظُرَ - إليه وإليها - نظرةً مُنبثقةً من حُكم الشرع، ومدى إنفاذِه، ومِن معرفة ذلك الشخص بتاريخِه الدعويِّ، وعلمه الشرعيّ، وتطبيقاته الدينية ... حتى يقطع الطريق أمام (الوصوليِّين)؛ الذين يريدون الوصولَ لأهدافهم عبرَ لَبُوسِ الشرع، ولكن ... ضدَّ الشرع ...

واللَّهُ الموفِّقُ .

---

(١) انظر « إرواء الغليل » (رقم:١٠٥) لشيخنا الألباني .

قِيَم إسلامية

الاعتصام بحبل اللَّه نعمة لا يعلمها إلّا العاقلون

محمد إبراهيم شقرة

آيةٌ من كتاب اللَّه سبحانه، نقرؤُها كثيراً، تردُدها أفواهُنا، وتُلقى في أسماعِنا، ترسمُ بألفاظها ومعانيها منهجاً حياتياً كاملاً للأمةِ في كل أعصارها، وعلى اختلافِ أمصارِها، تُرخي ذيولَها المُوشَّاة بالنّور السَّرمدي على أطرافِ الحياةِ الإسلامية، وتمدُّ ظلالَها المُخضَلَّةُ بالهدى النَّدي على أرجاءِ أرضِ المسلمين، وتجوبُ بأطيافِها الموقورة بالعدالة الرضى آفاقَ الدنيا، قاصيها ودانيها، فإذا الأمة بها تسعى في حاضرٍ يهتزُّ ويربو بذكرياتِ ماض، سيكون شاهد صدقٍ على مستقبلٍ يزخر بالرَّجاء الصَّالح، تقف به الأمة فوق أرضٍ استحكمت على رُباها، وسهولها، وشطآنها خيوطُ الزمن، في مرة وثيقة تهبُ الدنيا من فضل فضلها، ما يجعلها بحقٍّ خير أمةٍ أخرجت للناس، وذلك الدهر كله، حتى لكأن الزمان - بأبعاده الثلاثة - جاءها يسعى بطاعةٍ لا تعرفُ العصيان، وبشكر لا يعرفُ الكُفران، وبتذكُّر لا يعرف النِّسيان، فيكون نبيُّها صلوات اللَّه عليه وسلامه خير من يشهد لها بقوله : « أمتي كالمطر لا يُدرى أوَّلها خيرٌ أم آخِرُها » .(١)

وبأدنى نظر ستبصرُ هذه الآية، فإنَّنا واجدون أن الاستمساكَ بحبل اللَّه هو الذي ينفي الفرقةَ، ويدفعُ الاختلافَ عن الأمةِ، وأنهما - الفرقة والاختلاف - لا يكونان إلّا من قطعِ الأمةِ نفسَها من حبل اللَّه، فهذه من تلك، وتلك بهذه، جزاء وفاقاً، وحساباً طباقاً، هذه الآية هي قولُ اللَّه سبحانه : ﴿ واعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَميعاً وَلا

(١) حديث صحيح، كما بينه شيخنا في « الصحيحة » (٢٢٨٦) .

تَفَرَّقوا وَاذْكُروا نِعمَةَ اللَّهِ عليكُم إذْ كنتُم أعداءً فألَّفَ بينَ قُلوبكُم فأصبَحتُم بنعمَتهِ إخواناً ﴾ .

وعودوا إلى ما قبل أربعةَ عشر قرناً من الزمان، لنبصر برجلين، واحد من الأوس، والآخر من الخزرج جرى بينهما حديثُ تفاخر عن الحربِ التي دارت رَحاها بين قبيلتيهما مئة وعشرين سنةً، حتى استعدى كلٌّ منهما قبيلته على الأخرى، وكادت أن تكون فتنةٌ، تبعث حصاد مئة وعشرين سنة من جديد، فتنزل هذه الآية، آمرةً ناهيةً، محذرةً مذكرةً في آن معاً، فما هي إلّا أن سمعوها، حتى ذرفت العيونُ دموعَها، وتعانقت الأرواحُ بأشواقِها، وتصافحت الأكفُّ، وغارت الفتنةُ، وأذهب اللَّهُ كيدَ الشيطان .

ولا أحسب أن تكون فتنة اليوم أو غداً بين مسلمين اثنين أو بين جماعتين مسلمتين - أو أكثر -، إلّا وللمخالفة عن صريح هذه الآية مكان عظيمٌ منها، بل هي جزاءٌ وفاقٌ، يوقعه اللَّه عليهم بمخالفتهم هذه، والجزاءُ من جنسِ العمل، إن عظمت المخالفة عظمت الفتنةُ، وإن صغرت صغرت، وأعظم ما تكون المخالفةُ في خروج الأمة عن مقتضى العقيدة، والاعتصام بهذه العقيدة هو بلزوم مقتضاها، امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ واعتَصِموا ﴾ ومقتضاها الحقُّ هو: التصديق القلبيُّ بها، والفهمُ الصحيحُ لمعناها، والعملُ المطابق لها ظاهراً وباطناً، ثم الدعوةُ إليها، والجهادُ في سبيلها، وجمعُ شتات القلوب عليها، وحمايةُ أحكامِها وفروعها المنبثقة عنها، ومظاهرةُ أهلها، ومشاقَّةُ أعدائها .

والناظرُ المتأمل في واقعنا اليوم يكاد يقول: إنَّ منافرةً شديدةً واقعةٌ بين الأمة وإسلامها، أو إن عداوةً شرسةً آخذةٌ بمجامعِ قلوبها ونواصيها، تقودُها قوداً ذليلاً حثيثاً إلى حيث تكون هلكتها، ثم لا تجد لنفسها سبيلاً يهديها، أو سبباً يُنجيها .

ولسنا هنا بسبيل تعداد الآثارِ الكثيرة التي نجمت عن مخالفة الأمة عن مقتضى عقيدة التوحيد التي استقام أمرها عليها في القرون الخوالي، وظلت في منجىً منها، ما

دامت مقيمة حياتها على هذا المقتضى، ويكفينا أن نذكر منها أو نتذكر الفرقة الضاربة طُنْبَها بين ظهرانيها، التي أفضت بها إلى نِحَلٍ ومذاهب، ليس منها واحدٌ يذكرها إلّا بزيادة عليها، أو أحداث أخرى جديدة لم يكن يخطرُ على بالها أن تكون فيها، فالشرُّ يربو وتربو معه آثارُه، والخير يقلُّ وتقلُّ معه آثارُه، وما من يوم يأتي على النَّاس إلّا والذي بعده شرٌّ منه، والأمة في غفلةٍ تعصف بقلوبها عصفاً، وتملأ صدورَها إحَناً وعداواتٍ، وتخرجها من ظلمةٍ لتهديها إلى ظلماتٍ، حتى إذا ألفت نفسها فيها، بعد طول إلفٍ واعتياد، لا ترى لنفسها أحسن مما هي فيه، ولا تفكرُ حتى ولو في محاولةٍ للخروج منها ، فَجُعلانُ الأرض حين تفارق مواطنَها تكونُ مقاتلُها !!!

فأي سوء أسوأ من هذا الذي نحن فيه، وهل من حقٍّ الأمة أن تختار لنفسها البقاء في هذا السوء الأطم، وقد أرادها اللَّهُ أن تكون في ضياء الحقِّ، وظلال الهدى، وسكينة الفضيلة ؟! أي وربّ السماء والأرض، لقد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتسربلت سربال الضلال، وألقت بقيادها إلى يد صُنّاع الفِتنةِ !!

ولم يكن ذلك كذلك إلّا حين نبذت من وراء ظهرها أمرَ ربِّها ﴿ واعتَصِموا ﴾، وأوثقت أيديها وأرجُلها في شَرَك قوله : ﴿ وَلا تَفَرَّقوا ﴾ فإذا هي كلُّها شِيَعٌ، وأحزابٌ، وفِرَقٌ، تمشي في الأرض على ذلّة التَّبعيَّة، ولا تبصر من نفسِها إلّا قماءة الصَّغار، ولا تسمعُ في صدرها إلّا هَمس الهوانِ !!! ولا يتغشاها إلّا قولُ اللَّه سبحانه : ﴿ فتقطَّعوا أمرَهُم بينهُم زُبُراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون ﴾ .

ولكأنما رضي الشيطانُ من بعض أمتنا اليوم أن يكونوا دعاة فرقةٍ وتحزبٍ، على نسق جديد، ونمط لم يعهد من قبل، أسَّسوهما على فلسفةٍ مذهبيةٍ عقليةٍ، أوردوها أرضنا، باسم الحريةِ الفكرية، التي ترفضُ كل ما يُذكِّر بماض يعزّ به حاضرُ، أو بتاريخ يفخر به مستقبلٌ، أو بحضارة قامت على ثقافةٍ رضيت عنها السماء، لغةً، وأسلوباً، وعقيدةً، وجنداً، ودعاةً، ورسلاً، سفروا بها في كل أرجاء الأرض، لا يريدون من أهلها جزاءً ولا شُكوراً .

هؤلاء « البعض » عزَّ عليهم بما حملوا من حبٍّ « الفرقة والتحزب » أن يضعوا نُصب أعينهم قول اللَّه: ﴿ إنَّما المُؤمنونَ أخوَة ﴾ فيكون شعار المجتمع كله؛ بناسه، وثقافته، ومنهاج حياته، لأنَّه لا يبقى على ما يريدون من سوء، ولا يرضى أن ينازعه في أرضه شعار آخر، وهم إنَّما يريدون أن يزرعوا في كل زاوية من زوايا المجتمع شعاراً من شعاراتهم، ويبرموا مع الناس فيها عهداً أن يكونوا حملة أوفياء لهذا الشعار، ثم لا يجدون في أنفسهم ولاءً إلّا له، ولو كان واحداً لقلنا : يهونُ الخطبُ، ولكن واحد، وثان، وثالث، ورابع ... وإلخ، « والحبلُ على الجرَّار »، فهل كانت الحريةُ الفكريةُ التي ألقى بها الشيطانُ في أرضنا إلّا بلاءً طاماً، وداهية سوداء ؟!

والغريبُ العجيبُ أنَّ أصحابَ هذه الشعارات، ينكرون بشعاراتهم هذا الشعار السماوي ﴿ إنَّما المؤمنون أخوةٌ ﴾ ويعدُّونه سبباً في تفريق الشَّمل، وبعثرة الجهد، ومضيعةِ الوقت، فأولى بالسَّواد الأعظم من الأمة - في حِسابهم - أن يرعوا هذا الشعارَ، ويخضعوا لمجموع الشعارات، التي يعلمون هم في قرارةِ أنفسهم أنَّهم لم يحملوها إلّا لزيادة فرقةِ الأمة، وإفساد عقيدتها، وإذهاب قوتها !! هم يعلمون هذا يقيناً، ولكنهم يتذرعون بحرية الفكر والاعتقاد، تحت عَرش الدّيمقراطية !!

حرية الفكرِ تكون صالحةً ومقبولةً، حين يلتئم صفُّ الأمة على كلمةٍ سواءٍ، فلا غربي ولا شرقي !! ولا أي شيء فاسدٍ باطل من قولٍ أو فعلٍ، فإن كان شيءٌ من ذلك أو مما يشبهه فحريةُ الفكر نمطٌ جديدٌ من دعاوى الجاهلية العتيقة، ألبسوها ثوباً جديداً، لذا فعليهم أن يستذكروا - ولعلهم يذكرون - قول النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، الذي يفخرُ العربُ الأقحاحُ !! بالانتسابِ إليه، أما المهَجَّنون عِرقاً ونَسَباً وفكراً ففخرهم كله بِهُجنَتِهم المريبة - أقول : فليستذكروا قول النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : « إذا رأيتُم الرَّجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوهُ بِهِنِ أبيه ولا تُكْنُوا »[1] !

(١) صحيح كما بينه شيخنا في « الصحيحة » (٢٦٩) .

اتِّباع السُّبُل

محمد بن موسى بن نصر

لقد أخبر النَّبيُّ ﷺ بأنَّ الأمة ستفترق شيعاً وأحزاباً، وأنَّها ستتبعُ سنن من كان قبلها من الأمم حذو القُذَّةِ بالقُذَّة فقال : « لتتبعن سننَ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لاتبعتموهم »، قالوا : اليهود والنصارى، قال : « فمن ؟ »[١] ؛ وأنت لو رجعت إلى أصول الفرق الضالة لوجدتها - في أصل أصولها - متفرعةً إما عن اليهود أو النصارى .

وأخبر ﷺ أيضاً بأنَّ الاختلاف في هذه الأمة سيكون أكثر وأشد مما وقع فيه اليهود والنصارى فقال : « افترقت اليهود والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في النَّار إلّا واحدة قالوا : من هي يا رسول اللّه ؟ قال : هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[٢].

وهذا الحديثُ عَلَمٌ من أعلام نبوَّته ﷺ، فقد رأينا هذا الافتراق وهذا الاختلاف، واكتوينا بناره، وكلَّما أتى على الناس حين من الدهر رأوا اختلافاً أكثر وافتراقاً أشد من ذي قبل، وهو الذي عناه النَّبي ﷺ بقوله : « إنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة ... » .[٣]

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه الترمذي والطبراني في « الصغير » والعقيلي في « الضعفاء » وهو حسن بشواهده .

(٣) صحيح أخرجه الترمذي وغيره .

ومَن عُمِّر من الصحابة أدرك أوائل ظهور هذا الاختلاف الكثير، فظهور الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وبروز بذرة التَّصوف كل ذلك من إرهاصات ودلالات هذا الحديث .

ولكن رسول اللَّه ﷺ يُشخِصُ الداءَ ويصف الدواءَ، فالاختلافُ داءٌ ودواؤُهُ التَّمسُّك بالكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة، ولذلك يؤكِّد الرسول ﷺ على سُنة الخلفاء الراشدين، لأنَّ سنتهم لا تخرج عن سنَّته ﷺ وسبيلهم لا يتنكب سبيله ﷺ وهم بالحق قاموا، وبه نطقوا، وبهم قام ونطق؛ اختارهم اللَّه لصُحبة نبيه ﷺ فرضي عنهم وَرضوا عنه .

والابتداعُ في الدين أصلُ الفساد وأساسه، ولذا يحذرُ منه رسولُ اللَّه ﷺ فيقول : « وإياكُم ومحدثات الأمور فإنَّ كل محدثةٍ بدعةٌ وكل بدعةٍ ضلالةٌ » .

وبعضُ الدعاة يزعمون أنَّ كثرة الجماعاتِ على ساحةِ الدَّعوة ظاهرةٌ مَرْضِيَّةٌ، ولهم أقول : إنَّ كثرةَ الجماعاتِ ظاهرةٌ مَرَضِيَّة؛ لأنها تعني كثرة الاختلاف، والاختلاف كلُّه شرٌّ، والشرُّ لا يأتي بخير؛ خصوصاً أنَّ بعض الجماعاتِ لها ذيولٌ تلتقي مع بعض الفرق الهالكة كالقول بالتَّكفير بالمعاصي والذنوب، وإنكار أخبار الآحاد، ورد السُّنن والآثار بالعقل والهوى، وتعطيل الصِّفات، وهذه الجماعات فيها حقٌّ وباطلٌ، وكلَّما كانت أقربُ إلى الحقّ كانت أقربَ إلى الصراط المستقيم، وكلما ابتعدت عنه كانت أقرب إلى (أصحاب السبل) - الثنتين وسبعين فرقة الهالكة - التي حذَّرَنا منها النَّبي ﷺ .

من أجل ذلك لا بدَّ من معرفة الباطل وأهله ومناهجهم حتى يُتَّقَوا ويُحذَر منهم، كما لا بدَّ من معرفة سبيل الذين أنعم اللَّه عليهم - وهم الفرقة الناجية - وإنَّما يكون ذلك بالعلم الصَّحيح القائم على الأدلة البيِّنة، والحُجج الواضحة من الكتاب والسنة الصحيحة بفهم سَلف الأمة .

وتركيزنا على فهم السَّلف - كما ذكرنا ونذكر وسنذكُر -؛ لأنَّهم أعلمُ النَّاس باللَّه وبرسوله، وهم الذين نَقَلُوا القرآن إلى واقعٍ حي عملي؛ كما يحبُّ اللَّه ويرضى، وقد شهد لهم النَّبي ﷺ بالخيرية - فيما رواه الشيخان - فقال : « خير النَّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ولا يُعرف عن السَّلف الصالح خلافٌ في قضايا الاعتقاد، ولا يلتفت إلى شنشنةِ بعضِهم حول اختلافِ الصحابة في العقيدة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى (٣٩٤/٦) : « وأما الذي أقول الآن وأكتبه ... أنَّ جميعَ ما في القرآنِ من آياتِ الصفاتِ؛ فليس عن الصحابة اختلافٌ في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء اللَّه تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مئة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة: أنَّه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات؛ بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أنَّ ذلك من صفات اللَّه ما يخالف كلام المتأولين؛ مالا يحصيه إلّا اللَّه، وكذلك فيما يذكرونه آثِرين وذاكرين عنهم شيء كثير » .

من أجل ذلك كان تصحيح عقائد النَّاس وإصلاح مناهجهم أساس دعوة الرسل وكلِّ دعوة سُنية صحيحةٍ، فالخلاف مرفوضٌ في سائر قضايا الشريعة، وفي العقيدة من باب أولى، ولا يمكن تجميع الناس قبل تصحيح عقائدهم، لأنَّ ذلك معناه التنازع والفشل واحتباس نصرة اللَّه عنهم، لأنَّ معية اللَّه ونصرته لا تنزل على أهل الشِّرك والخرافة وأرباب الضلالة لقول اللَّه : ﴿ ولينصرنَّ اللَّهُ من يَنصرُه إنَّ اللَّهَ لقويٌّ عزيز ﴾.

فاتباع سبيل المؤمنين واجتناب السبل التي حذر منها اللَّه ورسوله فيها الخلاص من واقعنا المعاصر - السَّيِّيءِ - وهذا ما يشهد له الكتاب والسنة والتاريخ، فهل نحن مدركون ؟!

ما لَم يصحَّ مِن أخبار في فَضْل الجار

أبو الحسَن الأثَري

كثيرةٌ هي الأحاديث التي يتداولها العامَّة - وبعض الخاصَّة - ممّا لم يصحّ عن النَّبي ﷺ في أبوابٍ من العلم متعدِّدةٍ، على كثرة الصحيح في ذلك، ومنه ما يُرَدِّدونه في فضل الجار :

١ - « الجارُ قبلَ الدَّار » :

رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٣٧٩)، وأبو الشيخ في « الأمثال » (٢٣٢)، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢/٢٩١)، والقُضاعي في « مسند الشّهاب » (٧٠٩)؛ من طريق أبان بن المُحَبَّر عن سعيد بن معروف بن رافع بن خَديج عن أبيه عن جدِّه؛ بلفظ : « التمسوا الجارَ قبلَ الدَّارِ ... » .

قال السَّخاويُّ في « المقاصد الحسنة » (رقم ١٦٣) : « وابنُ المحَبَّر متروكٌ، وهو وسعيدٌ لا تقومُ بهما حجَّةٌ » .

وأوردَ الحديثَ الإمامُ الذَّهبيُّ في « ميزان الاعتدال » (١/١٥) مِن مناكير ابنِ المحبَّر !

٢ - « الجيرانُ ثلاثةٌ » [1] :

قال البزَّارُ في « مسنده » (١٨٩٦-زوائده) : « حدثنا عبدُاللَّه بن محمدٍ أبو الربيع الحارثيُّ : حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك : أخبرني عبدالرحمن بن الفُضيل عن عطاء الخُراساني عن الحسن عن جابر بن عبداللَّه؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

(١) أورده الحافظ ابن كثير في « تفسيره » (١/٧٤٨) وسكت عنه ! وتابَعه الصابوني في « مختصره » (١/٣٨٨) ! بل أورده جلُّ من كتب في حقِّ الجوارِ بحثاً أو إفراداً؛ دونَ تَنبيهٍ أو بيانٍ !! حتى إنَّ الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠/٤٤٢) أوردَهُ ساكتاً عنه !

(الجيرانُ ثلاثةٌ : جارٌ له حقٌّ واحدٌ، وهو أدنى الجيران حقّاً، وجارٌ له حقّان، وجارٌ له ثلاثةُ حقوقٍ : فأمّا الذي له حقٌّ واحد؛ فجارٌ مشركٌ لا رحم له، له حقُّ الجوارِ، وأمّا الذي له حقّان؛ فجارٌ مسلمٌ له حقُّ الإسلام، وحقُّ الجوار، وأمّا الذي له ثلاثةُ حقوقٍ؛ فجارٌ مسلمٌ ذو رحمٍ، لهُ حقُّ الإسلام، وحقُّ الجوارِ، وحقُّ الرَّحم » .

قال البزّار : « لا نعلمه عن النّبي ﷺ إلّا بهذا الإسناد) » .

وقال الهيثمي في « مجمع الزّوائد » (١٦٤/٨) : « شيخ البزّار عبدالله بن محمد الحارثيّ : وضّاع » .

ورواه أبو الشيخ في « الثواب »، والدّيلميّ، والطبرانيّ؛ كما في « شرح الإحياء » (٣٠٤/٦) .

ورواه الحسنُ بن سفيان في « مسنده » [١]؛ قال : « حدثنا الحسين بن عيسى البسطاميّ : حدثنا محمد ابن أبي فُديك عن عبدالرحمن بن فُضيل به » .

ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٠٧/٥) عن أبي عمرو بن حمدان عن الحسن بن سفيان به .

فهذه مُتابعةٌ [٢] للحارثي الوضّاع [٣] .

ومع ذلك؛ فالحديث ضعيفٌ، له علّتان :

الأولى : ضعف عطاء الخُراساني .

وقد اختُلفَ عليه فيه، فرواه ابنُ عديٍّ في « الكامل » (١٨١٨/٥) من طريق شويد بن عبدالعزيز - وهو ضعيفٌ - عنه عن عمرو بن شُعيب عن أبيه عن جدِّه !!

الثانية : الحسنُ لم يسمع من جابرٍ؛ كما في « جامع التّحصيل » (ص ١٦٣) للعلائيّ .

٣ - النّبيُّ وصّى على سابع جار :

وهذا لا أصلَ له، وإنّما يدورُ على ألسنة العامّة - بهذا اللفظ -، فالوصاة بالجارِ ثابتةٌ، لكن تحديد السّابع منها لا أصلَ له مرفوعاً، واللّه أعلم .

---

(١) كما في « تخريج الإحياء » (١٨٣٧-السعودية)، و « الترغيب والترهيب » (٨٤٣) للأصبهاني .

(٢) وقد خمّن بذلك تخميناً الأخ محمود الحدّاد في تعليقه على « حق الجار » (ص ٤٦) للذهبي .

(٣) وفيه زيادةٌ في آخره : « ... وأدنى حق الجوار أن لا تؤذي جارك بقتار قدرك إلّا أن تقدح له منها » .

واقعُ الأُمَّة الإسلاميَّة
الدَّاءُ والدَّواءُ

د. صالح بن غانم السدلان

هذا موضوعٌ مهمٌّ غايةً، يعالجُ قضيةً من أهم القضايا المصيرية في أيامنا ؛ فهو يعرضُ الدَّاء ويصفُ له الدَّواء : يعرضُ أسباب الوهن والتخاذل والضعف الذي مُنيت به الأمّة ورُزيء به المسلمون في هذا العصر، ويصف الدواءَ الناجعَ ، وسبيل النهوض من هذا الحال الذي لم يشهد التاريخ الإسلامي مثيلاً له .

الحمدُ للّه الذي جعلَ المؤمنين إخوة، وألّف بين قلوبهم، وصيَّرهم بعد الفرقة كالبنيان، نحمده تعالى على أن جعلنا خير أمّة أخرجت للناس، وفضَّلنا على سائر الأجناس، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله الداعي إلى سبيل ربّه بخير موعظة وأبلغ حكمة صلّى اللّه عليه وسلّم، وعلى وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى أن يرث اللّه الأرضَ ومن عليها، ويقوم الناس لربِّ العالمين .

أما بعد : فإنَّ ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج من أوضح شرائع الإسلام وألزم خِلال المسلمين المخلصين، وهو الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، وسر قوتها ومنبع عزّتها، وأهم ما جاءت به الرسل بعد توحيد اللّه تعالى جمع الكلمة، ولمِّ الشعث، وتسوية الصفوف .

لقد جاءَ الخطابُ الإلهي مُقِرّاً هذا الوضع؛ فلم يتجه للفرد وحده بالأمر والنهي، وإنَّما تناول الجماعة المسلمة كلها بالتأديب والإرشاد؛ قال تعالى :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اركَعوا واسجُدوا واعبُدوا ربَّكم وافعَلوا الخيرَ لعلَّكم تفلحون وجاهِدوا في اللَّهِ حقَّ جهاده ... ﴾ [الحج:٧٧-٧٨] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّاس اتَّقوا اللَّهَ حقَّ تُقاته ولا تموتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمون واعتَصموا بحبلِ اللَّه جميعاً ولا تفرَّقوا ﴾ [آل عمران:١٠٣-١٠٥] .

ينادي اللَّه تعالى الجماعة المسلمة، ويوجهها إلى ما فيه خيرها وصلاحها إلى هذين الأصلين العظيمين، اللذين يقوم عليهما حياتُها ومنهجُها، واللذين لابدّ منهما لكي تضطلع بالأمانة الضخمة التي ناطها اللَّه بها، وأخرجها للوجود من أجلها، وهذان الأصلان المتلازمان هما الإيمان والأخوة :

- الإيمان باللَّه سبحانه وتقواه، ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة .

- والأخوة في اللَّه التي تجعل من الجماعة المسلمة بُنية حية قوية قادرة على أداء دورها العظيم في الحياة البشرية .

ولقد تحقق وعد اللَّه، وجاءت هذه الأمة المسلمة عبر القرون الخالية لتنشىء في الأرض طريقها على شرع اللَّه وحده متميزة متفردة ظاهرة، وتؤدي دوراً عظيماً لا ينهض به سواها، وبفضل اللَّه تعالى ثم بفضل اتحادهم وتضامنهم وتعاطفهم وتراحمهم فيما بينهم ظهروا مع قلتهم، وانتصروا بشجاعتهم، وفتحوا البلاد، وسادوا العباد، وقهروا الملوك والسلاطين، وصاروا أقوياء وعلماء وسادة الدنيا والدين .

بيد أنَّ أمَّتنا الإسلامية - وبخاصة في هذه الأيام العصيبة من الزمن - قد عانت - وما زالت تعاني - من ضعف وتمزق شديدين، ممّا جعلها في ذيل ركب الأمم، ومرَّت بأزمات كثيرة ونكبات متلاحقة كادت تفقد معها أمنها وطمأنينتها إن لم يكن دارها وأموالها .

وفي نظري : أنَّ أوّل الأسباب التي أدت إلى تقويض دولة الإسلام وإعاقة حركة المسلمين إنَّما يعود أول ما يعود إلى تفرقهم في الأرض شيعاً، واختلافهم، وتنكر الكثير منهم لشرع

اللّه الذي ارتضاه لهم؛ فانقسموا أحزاباً وبات كل حزب يكيد للآخر ويتربص به، جهودهم غير متحدة، وأعمالهم غير متفقة .

نعم؛ لقد أتى على هذه الأمة حينٌ من الدهر انقلبت فيها الأوضاع، وتغيرت فيها النوايا، وتبدل فيها السلوك، وفسدت فيها المفاهيم، فمن القمة الشامخة السامقة إلى الحضيض السحيق، ومن الذروة العليا إلى أدنى دركات الضياع والذل والهوان والهبوط ..

ولا يتسع المجال هنا لذكر كل النكبات التي حاقت بهذه الأمة، والنكسات التي منيت بها، والأزمات التي تلاحقت عليها بسبب البعد عن شرع اللّه والتنكب لدينه، ولكن يكفي أن نتحدث عما نشاهده بأعيننا، ونسمعه بآذاننا في مجتمعاتنا المعاصرة من الويلات المتلاحقة والنكبات المروعة والمشاكل المخزية التي لا حصر لها، وصدق اللّه - سبحانه - إذ يقول : ﴿ إنَّ اللّهَ لا يظلمُ النَّاسَ شيئاً ولكنَّ النَّاسَ أنفُسَهُم يظلِمون ﴾ [يونس:٤٤] .

وهذا كلُّه عرَّض روح التدين لهزات عنيفة ومخيفة مهَّدت بعدئذ لظهور الاتجاهات الإلحادية، وتسلطها على بلاد المسلمين ومقدراتها، ومن ثم محاربتها للإسلام ودعاته؛ تارة بإطلاق الإشاعات والأراجيف، وطوراً باختلاق الذرائع والمبررات لاستئصالهم والخلاص منهم [١].

وفي مجال العبادة : تعرضت العبادات لكثير من الانحراف وسوء الفهم لدى الغالبية من المسلمين منها :

الغلو والإفراط في أدائها : فمن مُفَرِّطٍ متساهل مهمل، إلى مُفْرِطٍ متكلف متحامل على نفسه مبالغ في الذكر والزهد والتقشف !!

وما أحسن ما وصفهم به ابن عقيل رحمه اللّه حيث قال : « ما أعجب أمورهم في التدين : إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة » [٢].

ناهيك عن جهل الكثير من المسلمين بأحكام الدين، وعدم أداء العبادات أداءً صحيحاً على

(١) « كيف ندعو إلى الإسلام » (ص ٤٩-٥٠) .

(٢) « تلبيس إبليس » (ص ٢٠٦) لابن الجوزي .

وجهها الأكمل .

يقول الشيخ محمد قطب : « إنَّ كل المفاهيم الإسلامية قد تغيرت وانحرفت في حس الأجيال المتأخرة بدءاً بمفهوم لا إله إلّا اللّه التي أصبحت مجرد كلمة تقال باللسان، والقلب غافل والسلوك عنها بعيد، إلى مفهوم القضاء والقدر الذي تحول إلى قوة مُثَبِّطة مُخَذِّلة، إلى مفهوم الدنيا والآخرة اللتين انفصلتا وتحولتا إلى معسكرين متقابلين متعاديين العمل في أحدهما يؤدي إلى إهمال العمل في الأخرى، إلى مفهوم عمارة الأرض، الذي تحول من عمارة الأرض بمقتضى منهج اللّه إلى توقف العمارة إلى عودة العمارة ولكن بغير منهج اللّه [1].

ومن التخلف العقيدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي : التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والفكري والثقافي »[2].

وكان من نتائج فساد العقيدة الذي أصيبت به الأمة :

انهيار أخلاقها، وشيوع الفواحش والمنكرات فيها، وانغماس كثير من أبنائها في حمأة الرذائل والشهوات، وانصرافها إلى المُتَع والملذات، والبعد عن هدي الشريعة الإسلامية في جميع المجالات الأخرى .

وفي المجال الاجتماعي : فشلت النظم المستوردة « يمينية » و « يسارية » في تأمين السعادة والطمأنينة والاستقرار للإنسان، بل إنَّها تسبَّبت في إشقاء الإنسان، وانعكس ذلك على الأسر؛ فتفكَّكت، وضعفت الروابط الأسرية، وانهدمت الأواصر العائلية، وانعدمت القيم والمكارم، وحلَّت الأنانية والأَثَرة وحب الذات محل التعاون والإيثار، وحب الآخرين والعطف عليهم، وبدت ظاهرة القلق والاضطراب والاكتئاب على كثير من أفراد المجتمعات التي تنكَّرت لشرع اللّه، وترتَّب على ذلك انتشار العيادات النفسية، وارتفاع نسبة الانتحار، واستحالة النوم، وجلب الطمأنينة النفسية أصبح رَهْناً بتناول الحبوب المخدرة والمهدئة، وشرب الخمور والمسكرات،

(١) الأَوْلى أن يقال : شرع اللّه بدل منهج اللّه . (السدلان) .

(٢) « واقعنا المعاصر » (ص ١٦٣-١٧٣) لمحمد قطب .

والإفراط في التدخين والسهر، والانغماس في الموبقات والشذوذ والجنس واقتراف الرذائل، وكم قرأنا عن شباب في عنفوان شبابهم قد أثّرت فيهم الشهوات، وانعدمت فيهم القيم والأخلاق، فانفصلوا عن واقعهم هرباً من مواجهة الحياة، وصاروا يبنون لأنفسهم عالماً حالماً هو عالم إباحي مجنون، انقلبت فيه القيم والمقاييس وتلاشت، بل وانعدمت فيه الروح الدينية بسبب سيطرة النظم الوضعية والأفكار البالية القائمة أساساً على المنفعة الفردية » [1].

وفي مجال السياسة ونظام الحكم : لا يخفى أنَّ الشريعة الإسلامية تقوم على أسس راسخة وقيم أصيلة وسمات أخلاقية تعتبر هي ميزان الاجتماع في الإسلام، وهي الدعامة الوطيدة التي يقوم عليها بناء الجماعة الإسلامية ويستقيم عليها أمرها، فالعدل في الإسلام هو الدعامة الوطيدة التي يقوم عليها بناء الجماعة الإسلامية ويستقيم عليها أمرها؛ لأنَّ العدل في الإسلام عدل مطلق يُطَبَّقُ على الكبير والصغير، والشريف والوضيع، والأمير والسُّوقَة، والمسلم وغير المسلم، ولا يُفلت من قبضته أحد ... إلخ .

والمساواة على إطلاقها؛ فلا قيود ولا استثناءات، وإنَّما مساواة تامة بين الأفراد، ومساواة تامة بين الأجناس، ومساواة تامة بين الحاكمين والمحكومين، ومساواة تامة في الحقوق والواجبات والمسؤوليات ... إلخ .

والشورى من أهم قواعد الشريعة الإسلامية، وهي لأهل الحل والعقد والتجربة والخبرة، وهي الدعامة التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام .

وتلك هي أهم الأسس الرئيسة التي يقيم عليها الإسلام بناءه في نظام الحكم، ولكن هذه الأسس وغيرها قد تعطلت بسبب أهواء الكثير من الحكام، واستبدادهم، وقوانينهم الوضعية، ولقد عانت الشعوب الإسلامية من جرّاء ذلك وكابدت الأمَرّين !!

والذي ينظر في حال كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يرى برهان ذلك، فقد اكتظّت

---

(١) بتصرف يسير من « كيف ندعو إلى الإسلام » (ص٥٠)، « وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية » (ص٣٣٦-٣٣٧)، « الإسلام وأوضاعنا القانونية » (ص١٢٣-١٢٤) لعبدالقادر عودة .

البلاد بحكام وزعماء وأصحاب رأيٍ تفرقوا أحزاباً وشيعاً يتآمر بعضُهم على بعض، ويتقوَّل كل منهم على الآخر بالحق والباطل، ويتبادلون القَذفَ والسباب كما لو كانوا يتقارضون المدح والثناء، رَضُوا بأنْ يعيشوا متنابذين متفرقين، وكل فريق يحاول تحقير الآخر وتشويهه ليعلوا على هامته أو ليخلو له الجو فينطلق .[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى :

« وإذا خرج ولاة الأمور عن الحكم بما أنزل اللّه وقع بأسهم بينهم، قال النَّبي ﷺ : « ما حكم قوم بغير ما أنزل اللّه إلّا وقع بأسهم بينهم »[2]، وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أرادَ اللّهُ سعادتَه جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده اللّه بنصره، ويتجنَّب مسلك من خذله اللّه وأهانه، فإنَّ اللّه يقول في كتابه : ﴿ ولينصرنَّ اللّه مَن ينصُره إنَّ اللّهَ لَقويٌّ عَزيز . الَّذينَ إنْ مكَّنَّاهُم في الأرضِ أقاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكاةَ وأمَروا بالمعروفِ ونَهوا عن المنكر وللّه عاقبة الأمور ﴾ [الحج:٤٠-٤١] .

فقد وعد اللّه بنصر من ينصره، ونَصرُهُ هو نَصرُ كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل اللّه ويتكلم بمالا يعلم » [3].

ومن نظر في حال المسلمين مهتدياً بما قرره شيخ الإسلام هنا علم أنَّ ما ابتُلي به المسلمون اليوم من ضعف وذلة، واختلاف وفرقة، وهزائم ونكسات، سببه البعد عن شريعة اللّه، وتحكيم القوانين الوضعية القاصرة .

« وإذا كان الإسلام يُوزِّعُ العدل بالقسطاس المستقيم على القريب والبعيد والصديق، فهذا

---

(١) « الإسلام وأوضاعنا القانونية » (ص ١٢٣-١٢٤) .

(٢) صحيح بشواهده - جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وغيره بإسناد فيه ضعف؛ لكن له شاهدان : من حديث بريدة بن الخصيب؛ أخرجه الحاكم (١٢٦/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وآخر من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩٩٢) بإسناد فيه ضعف وبمجموعها يثبت الحديث (**الأصالة**) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (٣٨٨/٣٥) .

العدل قد ذهب من البلاد التي تحتكم إلى غير ما أنزل اللّه، ولا تجد إلّا المحاباة الكريهة والمحسوبية العمياء، والحكام الجائرين الذين نكثوا أيمانهم وخانوا أماناتهم وأتوا من الأعمال ما لا يغتفر، وأتوا بكل ما يناقض الإيمان، وانحرفوا عن كل اتّجاه يرجع إلى الإسلام »[1].

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه اللّه :

« من ثم نرى أنَّ كل مكان قامت فيه ألوهية الناس على النَّاس قد فشا فيه الظلم والجور والاستئثار الممقوت والتكبر في أرض اللّه بغير حق » [2].

ويكفي هؤلاء الحكام ظلماً ووخزاً في صدورهم أنَّهم يباغتون بمكائدهم كل من قام يدعو إلى اللّه، وينادي بالإصلاح، فيذلونه بالخوف والقهر ويفقرونه، ومن يلوذ بطرفه بالمصادرة لأمواله أو فرض الحراسة عليها، ويسلبونه حريته بالسجن والرعب، ويذيقونه ألواناً من العذاب ، ولم يكن إلّا هذا شاهداً على ظلمهم وجبروتهم وطغيانهم لكفى !!

والخلاصة : « أنَّ أداة الحكم في تلك البلاد التي تحتكم إلى غير ما أنزل اللّه قد فسدت وتعفَّنت وانتشرت روائح الفساد في كل جانب من جوانب الحكم فيها، فالحاكم يستولي على الحكم بالقوة المسلحة، ويحتفظ بمنصبه بالحديد والنار، ورجال السياسة البارزون سواء أكانوا في الحكم أم كانوا من المعارضين - كلهم من « العلمانيين »[3] الذين تنص لوائح أحزابهم على أنَّهم يستحلون كل شيء مادام يؤدي لغايتهم؛ فالسرقة، والرشوة، والاختلاس، وبيع الأعراض، والكرامات، والمساومة على المصالح العامة، والتستُّر على الخيانة والفساد، وإسكات صوت الحق كل ذلك جائز ما دام يؤدي إلى المال أو الجاه أو كرسي الحكم »[4].

---

(١) بتصرف من : « الإسلام وأوضاعنا القانونية » (ص:١٢٣،١٢٤،١٥٥) .

(٢) « نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور » (ص:٢٦) .

(٣) العلمانية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال للّادينية، والنموذج الرئيسي لها فصل الدين عن الحياة، انظر « العلمانية - نشأتها - تطورها - آثارها في الحياة الإسلامية » (ص:٢٣) لسفر الحوالي .

(٤) « الإسلام وأوضاعنا القانونية » (ص:١٢٣ و ١٢٨) .

وقفةٌ مع ... « دفع شُبَه التَّشبيه »

مشهور بن حسن

إخواننا : استكمالاً لما كنا قد بدأناه في أعدادٍ سابقة، نعودُ لنكمل وقفتنا مع كتاب « دفع شبه التشبيه »، فنقول :

○ هل ثبتَ التأويلُ عن أحدٍ من السَّلَف ؟

نقل المحقِّقُ المزعومُ لِـ « دفع شُبه التَّشبيه » - زوراً وبهتاناً - أنَّ التأويل - بمعنى : صرف النُّصوص عن ظواهرها - كان مذهباً للسَّلف الصَّالح، وحشد أمثلةً عدَّةً عن الصحابة والتابعين وعلماء الأُمَّة الأخيارِ، وقع فيها - على حسب زعمه وادِّعائه - أنَّهم أوَّلوا الصِّفات ! وهذا كذبٌ عليهم، ونكشف في هذه الحلقة كذبه على الإمام مالك بن أنس رحمه اللَّه تعالى ثم نُتابعُ - بَعدُ - إن شاءَ اللَّه :

وإليك - أولاً - نصّ كلامه في تقديم التَّحقيق المزعوم لِـ « دفع شبه التشبيه » قال تحت الباب الثاني « إثبات التأويل عند السَّلف » ما صورته :

« تأويل الإمام مالك رحمه اللَّه تعالى : روى الحافظُ ابن عبدالبر في « التمهيد » (١٤٣/٧) وذكر الحافظُ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٠٥/٨) أنَّ الإمام مالكاً - رحمه اللَّه تعالى - أوَّل النُّزولَ الواردَ في الحديثِ بنزولِ أمرِه سبحانه، وهذا نصُّ الكلام من « السِّير » :

« قال ابن عدي : حدثنا محمد بن هارون بن حسّان حدثنا صالح بن أيوب حدثنا حبيب حدثني مالك قال : « يتنزَّل ربنا تبارك وتعالى أمره، فأما هو فدائم لا يزول » .

قال صالح : « فذكرتُ ذلك ليحيى بن بكير، فقال : حسن واللَّه، ولم أسمعه

من مالك » .

قلت : ورواية ابن عبدالبر من طريق أُخرى فتنبَّه، وقد ذكرنا هذا عن الإمام مالك في « التَّعليق رقم (١٢٩) » انتهى كلامه .

وإليك ما قاله في التَّعليق المذكور بحروفه : « وممَّن أوَّل حديث النُّزول بنزول رحمته سبحانه الإمام مالك بن أنس - رحمه اللَّه تعالى - وهو من أئمَّة السَّلف، فيما رواه ... » وذكر ما في « السِّير » .

قال أبو عبيدة - غفر اللَّه له - : شنَّع هذا المحقق في كل صفحة من تعليقاته التي كتبها على « دفع شبه التشبيه » لابن الجوزي على السَّلفيَّة وأئمَّتهم قديماً وحديثاً، بعبارات تنبىء عن حقد، ونقولات تدلل على جهل فاضح، وقلَّة تحقيق، وقصور باع في العلم، بل تدل على تعصُّب ذميم يعمي عن الحق والصَّواب، إنْ لم نقل : يكشف عن ضلال غارق صاحبه فيه، يجعله لا يرى النُّور، ولا الطَّريق الموصلة إليه، فهو قد نقل بعضاً من كلام الذَّهبي وطوى - بل كَتَمَ - بقيَّته، وهو قوله [1] :

« قلت : لا أعرف صالحاً، وحبيب مشهور !! والمحفوظ عن مالك - رحمه اللَّه - رواية الوليد بن مسلم أنَّه سأله عن أحاديث الصِّفات، فقال : أمِرَّها كما جاءَت، بلا تفسير، فيكون للإمام في ذلك قولان إن صحَّت رواية حبيب ! » انتهى .

قلت : أنَّى لها أن تصح ؟! وحبيب متَّهم، وهو - أعني الذهبيّ - القائل فيه في « الميزان » (٤٥٢/١) : « قال أحمد : ليس بثقة، وقال ابن معين : كان يقرأ على مالك ويتصفَّح ورقتين ثلاثة فسألوني عنه بمصر، فقلت : ليس بشيء، وقال أبو داود : كان من أكذب النَّاس، وقال أبو حاتم : روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة، وقال ابن عدي : أحاديثه كلُّها موضوعة، وقال ابن حبَّان [2] : كان يورق بالمدينة على الشيوخ، ويروي عن الثِّقات الموضوعات، كان يُدخلُ عليهم ما ليس من

(١) في « السير » (١٠٥/٨) .

(٢) في « المجروحين » (٢٦٥/١) .

حديثهم » .

واكتفى في « المغني » (١/١٤٦-١٤٧) رقم (١٢٨٧) و « ديوان الضُّعفاء » (١/١٦٦-١٦٧) رقم (٨٢٣) بمقولتي أحمد وأبي داود، قال الأوَّل فيه : « كان يكذب » وقال الآخر : « كان يضع الحديث » .

وترجمه ابن عدي في « الكامل » (٢/٨١٨) فقال : « كاتب مالك، يضع الحديث » ونقل عن النسائي قوله فيه : « متروك الحديث » - وهو في « الضعفاء والمتروكين » رقم (١٧١) - ثم قال : « وحبيب هذا أحاديثه كلُّها موضوعة عن مالك وعن غيره »[1] ثمَّ ذكر له أحاديث عن مالك، ثمَّ قال : « ويُكَثِّر حديثَ حبيب عن مالك الأحاديثُ الذي وضعها عليه، فاستغنيت بمقدار ما ذكرته من رواياته عن مالك لِيُستدل بهذا القليل عن الكثير، وهذه الأحاديث التي ذكرتها عن مالك مع غيرها من رواياته عنه كلُّها موضوعة » ثم قال في آخر ترجمته :

« وعامَّة حديث حبيب موضوع المتن مقلوب الإسناد، ولا يحتشم حبيب في وضع الحديث على الثِّقات، وأمره بيِّن في الكذَّابين، وإنَّما ذكرتُ طرفاً منه لِيُستدلَّ به على ما سواه » .

فرجلٌ يروي عن مالك كلاماً المعروف عنه - بالسند الصحيح - يناقضه، ومَن هذا حاله لا يقبله - أو يُصحّح حديثه - من له أدنى مسكة من عقل !! فكيف وفي إسناده آخرُ لا يُعرف، وهو صالح بن أيُّوب، كما قال الذَّهبي آنفاً .

أما قوله : « ورواية ابن عبدالبر من طريق أُخرى فتنبَّه، وقد ذكرنا هذا عن الإمام مالك في « التعليق رقم (١٢٩) » انتهى .

فهذا كلام لا نصيب له من الحقِّ، فلم يذكر طريق ابن عبدالبر هناك، ولم يعتن بدراسة رجالها إلى مالك، فهذا النقل خلاف المحفوظ المشهور عنه - رحمه اللَّه - كما سبق، فينبغي للجادِّ من طلبة العلم أن لا يمرَّ عليه مرور الكرام، ولكنَّه منهج أهل

(١) وجعل ابن حجر في « التهذيب » (٣/١٥٩) هذا من كلام النسائي !!

البدع، يذكرون ما لهم، ولا يذكرون ما عليهم !!

قال ابن عبدالبر في « التمهيد » (١٤٣/٧) : « وقد روى محمد بن علي الجبلي - وكان من ثقات المسلمين بالقيروان - قال : حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال : حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنَّه سُئل عن الحديث : « إنَّ اللَّه ينزل في الليل إلى سماء الدُّنيا » فقال مالك : يتنزَّل أمره » .

قلت : لم يثبت هذا عن مالك، فجامع ضعَّفه الدَّارقطني، وروى له في « غرائب مالك » بثلاث وسائط عن مالك، وهذا مظنَّة الانقطاع وعدم السَّماع من مُطَرِّف، وأورد الذَّهبي ترجمته في « الميزان » (٣٧٨/١) خبراً باطلاً هو آفته، وزاد عليه الحافظ ابن حجر في « اللسان » (٩٣/٢) خبراً آخر .

فهذه الطَّريق لا يُفرح بها، ويغلب على ظنِّي أنَّ هذا التأويل من عند حبيب نفسه، كما نقله عنه ابن عبدالبر في « التمهيد » (١٤٣/٧)، وسبق بيان حاله، فلا يلتفت إلى قوله، والمهم أنَّ الإمام مالكاً بريءٌ من هذا التأويل .

هذا ما يقتضيه التَّحقيق العلمي البعيد عن التَّعصُّب والهوى، نسأل اللَّه العافية .

وقد وقفت بعد كتابة هذه السطور على كلام لابن القيِّم في « مختصر الصَّواعق المرسلة » (٢٦١/٢) ذهب فيه إلى نحو ما قرَّرته، فقال - رحمه اللَّه - في هذه الرِّواية التي تُحكى عن مالك : « وهذه الرواية لها إسنادان :

أحدهما : من طريق حبيب كاتبه، وحبيب هذا غير حبيب، بل هو كذّاب وضَّاع باتِّفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله .

والإسنادُ الثاني : فيه مجهولٌ لا يُعرفُ حاله، فَمِن أصحابه مَن أثبت هذه الرِّواية، ومنهم من لم يُثبتها، لأنَّ المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك » .

وبهذه المناسبة : أرى من اللازم عليَّ أن أُنبِّه إلى أنَّ هذا الصَّنيعَ مِن المحقق المزعوم في إظهار ما يريد، وإخفاء ما يظهر سوءة كلامه، لا ينبيء عن قصور معرفةٍ، أو عدم وقوف على الحقِّ في نسبة هذا القول أو ذاك لصاحبه فحسب، بل إنَّه يدل على

تدليس وكذب ومراوغة ومخادعة لقارئيه، ولذا فعليهم أن يتحقّقوا من نَقله وأن يُنعموا النَّظر في كيفيَّة استدلاله به، فقد يجدها الباحث في الموطن الذي يحيل إليه، ولكن ... ليس على وجه التقرير من قبل صاحبه، بل هو ينقله عن غيره، وقد يكون خطّأ القائلين به، أو حكم عليه بأنَّه قولٌ مبتدعٌ، ولا يفوتني أن أُمثِّل على ما ذكرت - ولو بمثال واحد - فأقول :

ذكر الإمام النَّووي - رحمه اللَّه - في كتابه القيِّم « المجموع » (٤/٢٥٣) أنَّ المجسِّمة كفَّار، فقالَ ما نصُّه : « فممَّن يَكفُرُ مَن يُجسِّم تجسيماً صريحاً » .

قلت : نعم، الذي يقول : إنَّ اللَّه جسمٌ كسائر أجسام البشر فهو كافرٌ بلا مثنويَّة، وهذا هو مذهب المشبِّهة، أمَّا مَن نَفى التَّشبيه وأطلقَ أنَّ اللَّه جسم على معنى أنَّه موجود قائم بنفسه فقد أصابَ القَصدَ، لكنَّه أتى ببدعٍ من القول، وخطأٍ من اللفظِ لا نُوافِقُهُ عليه .

ومن أعجب ما وقعت عيناي عليه من التَّخبُّط والتَّخبيطِ والتَّخليطِ والتَّقوّل على أئمَّةِ الهدى ما ذكره المعلِّقُ على « دفع شبه التشبيه » (ص:٢٤٥-٢٤٦) فإنَّه قالَ بعد أن نقل مقولةَ الإمام النَّووي السَّابقة ما نصُّه :

« فيدخل في ذلك الحرَّاني بتشديد الرَّاء وتقديم المهملة !! الذي يقول في غير ما كتاب من كتبه بالجسميَّة، ومن ذلك قوله في « تأسيسه » (١/١٠١) :

« وليسَ في كتابِ اللَّه ولا سُنَّةِ رسوله ولا قول أحدٍ من سلفِ الأُمَّة وأئمَّتها أنَّه ليسَ بجسم وأنَّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ! فنفيُ المعاني الثَّابتة بالشَّرع والعقل بنفي ألفاظٍ لم ينفِ معناها شرع ولا عقل جهل وضلال » . أ.هـ.

قلت (السقاف) : بل قولك هذا والذي فطر السَّموات والأرض جهلٌ وضلالٌ، أليسَ قول اللَّه تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ كافٍ [1] في نفي معنى التجسيم وحقيقته عن خالق الأجسام أيُّها الحرَّاني ؟!!

(١) كذا قال، وهذا من دلائل جهله !! فالصواب : « كافياً » .

وأمَّا أئمَّة الأُمَّة وسلفها أيُّها الحرَّاني فقد ذمّوا التَّشبيه ... » انتهى .

قلت : وهذا كلامُ مَن لا يعرف الإنصافَ، ومن في أحكامه الاعتساف، ومن في حكمه على العلماء الجَور والإجحافُ، يظهر ذلك من وجوه :

منها : أنَّ القول المذكور ليسَ مما كتبه ابن تيميَّة مُتَبَنِّياً له، مدافعاً عنه، وإنَّما ذكره على لسان المتكلِّمين من أهل الإثبات، وأسقطَ المعلّق من كلام شيخ الإسلام على لسانهم : « قالوا » !

ومنها : غَضُّ المعلقِ النَّظرَ عن كلام شيخ الإسلام رحمه اللَّه في إطلاق هذا اللفظ على اللَّه عزَّ وجلَّ وهو ما وقف عليه بيقين، ولكن الإنصاف عزيزٌ، ولا قوَّة إلّا باللَّه .

قال شيخ الإسلام في مطلع المبحث :

« إنَّ لفظ (الجسم) و (العَرَض) و (المتحيِّز) ونحو ذلك ألفاظٌ اصطلاحيَّةٌ، وقد قدَّمنا غير مرَّة أنَّ السَّلف والأئمَّة لم يتكلَّموا في ذلك في حقِّ اللَّه لا بنفي ولا بإثبات، بل بدَّعوا أهل الكلام بذلك، وذمُّوهم غاية الذَّم » انتهى .

وهذا ما قرَّره شيخ الإسلام رحمه اللَّه في كثيرٍ من كتبه، مثل : « شرح حديث النزول » (٦٩-٧٦)، و « مجموع الفتاوى » (٣/٣٠٦-٣١٠)، (١٣/٣٠٤-٣٠٥)، و « منهاج السنَّة النبويَّة » (٢/١٣٤-١٣٥، ١٩٢، ١٩٨-٢٠٠، ٥٢٧) وقد أطلق شيخ الإسلام على وصف اللَّه بِـ (الجسم) في « شرح حديث النزول » أنَّه « لفظ مبتدع في الشَّرع محرف في اللغة، ومعناه متناقض في العقل، ويفسد الشَّرع واللغة والعقل » .

ومنها : أنَّ شيخ الإسلام ذكرَ مرادَ من وصفَ اللَّه بِـ (الجسم) وقال : « من زعم أنَّ الربَّ مركَّبٌ مؤلَّفٌ بمعنى أنَّه يقبلُ التَّفريقَ والانقسامَ والتَّجزئةَ، فهذا من أكفر النَّاس وأجهلهم، وقوله شرٌّ من قول الذين يقولون : إنَّ للَّه ولداً، بمعنى أنَّه انفصلَ منه جزء فصارَ ولداً له » .

وقال في « شرح حديث النزول » (٧٥-٧٦) :

« إذا قيلَ : هو جسم، بمعنى أنَّه مركَّبٌ من الجواهر المنفردة أو المادَّة والصُّورة؛ فهذا باطل، بل هو أيضاً باطل في المخلوقات، فكيف في الخالق سبحانه وتعالى ؟!

وهذا مما يمكن أن يكون قاله بعض المجسِّمة والهشاميَّة والكراميَّة وغيرهم ممَّن يُحكى عنهم التَّجسيم، إذ من هؤلاء من يقول : إنَّ كلَّ جسم فإنَّه مركَّب من الجواهر المنفردة ويقولون مع ذلك : إنَّ الرَّبَّ جسم، وأظن هذا قول بعض الكراميَّة، فإنَّهم يختلفون في إثبات الجوهر الفرد، وهم متَّفقون على انَّه سبحانه جسم، لكن يحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم؛ هل المراد به أنَّه موجود قائم بنفسه، أو المراد به أنَّه مركَّب ؟ فالمشهور عن أبي الهيثم وغيره من نُظَّارهم أنَّه يفسر مراده بأنَّه موجود قائم بنفسه مشار إليه، لا بمعنى أنَّه مؤلف مركَّب .

وهؤلاء ممن اعترف نفاة الجسم بأنَّهم لا يكفرون؛ فإنَّهم لم يُثبتوا معنى فاسداً في حقِّ اللَّه تعالى، لكن قالوا : إنَّهم أخطؤوا في تسمية كل ما هو قائم بنفسه، أو ما هو موجود جسماً من جهة اللغة، قالوا : فإنَّ أهل اللغة لا يطلقون لفظ الجسم إلّا على المركّب .

والتحقيق أنَّ كلا الطَّائفتين مخطئة على اللغة : أولئك الذين يسمُّون كل ما هو قائم بنفسه جسماً، وهؤلاء الذين سموا كلَّ ما يشار إليه وترفع الأيدي إليه جسماً، وادَّعوا أنَّ كل ما كانَ كذلك فهو مركَّب؛ وأنَّ أهل اللغة يطلقون لفظَ الجسمِ على كلِّ ما كانَ مركَّباً، فالخطأ في اللغة والابتداع في الشَّرع مشترك بين الطائفتين » .

... هذا تمامُ كلامِ شيخ الإسلام وتفصيله، وفيه بيانُ مرادِ المتكلمين من أهل الإثبات، فالاحتجاج عليهم بالآية المذكورة ﴿ ليسَ كمثلِه شيء ﴾، وإلزامهم بما لم يخطرُ ببالهم، من قلَّة التحقيق، ومن المجازفة والهجوم على الآخرين من غير تثبت ولا رويَّة، بل هو من التحكُّم والتشهِّي وحظ النَّفس، وهو مع ذلك كلّه من الحرمان في إصابة الحق، فكيف إذا انضافَ لذلك أنَّ فيه تقوّلاً على الآخرين بما لم يقولوه ؟ فلا أقلَّ ممّن افتتن بكتابات هذا المعلِّق أن يراجع وراءه، وأن يتأمل كلامه، ويدقق في نقولاته، فإنَّه سيجد الكثيرَ من هذا النَّوع الذي أشرنا إليه، وليسَ هذا موطن بسط ذلك، واللَّه الموفق .

تُرَاثِيَّات ... (١)

الإمامُ الهُذَلي وكتابُه « الكاملُ في القراءاتِ الخَمسين »

محمد بن موسى بن نصر

قليلونَ هم الذينَ سمعوا بكتاب « الكامل في القراءات الخمسين » فضلاً عمَّن رآه منهم ممن شُغِفَ بجَمعِ المخطوطات، أو تخصّصَ في علم القراءات - ذلك العِلم الذي كادَ أن يندرس بين طلاب العلم في هذا الزمان - حتى غدا المشتغلونَ به والمهتمون فيه يُعَدُّونَ على أصابع اليد مع كثرةِ ما وَرَدَ مِن فضائل القرآن وتعليمه في الكتاب والسنَّة .

وكتابُ « الكامل » للإمام الهُذَلي من أعظمِ مراجع هذا العلم ومجامِعه، بل إنَّه يُعدّ خزينةَ القراءاتِ ومستودَعها، كيف وصاحبُه من أئمَّة هذا الفنِّ وفرسانِه ! أفنى عُمُرَه بحثاً في القراءاتِ القرآنيَّة متواتِرها وشاذِّها .

وهذا الإمامُ ابنُ الجَزَرِيّ - في « غاية النهاية » (٢ / ٣٩٧) يُحدثنا عنه :

١ - اسمُه ومولدُه وشهرتُه :

هو الإمام يوسف بن علي بن جُبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة، أبو القاسم الهُذَلي البَسْكَريّ، ولد في حدود التسعين وثلاث مئة تخميناً، وطافَ البلادَ في طلب القراءات، فلا أعلمُ أحداً في هذه الأمَّة رحل في القراءات رحلته، ولا لقيَ مَن لقيَ من الشيوخ .

قال في كتابه « الكامل » : فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاث مئة وخمسة وستونَ شيخاً من آخر المغرب إلى باب فَرغانة يميناً وشمالاً، وجبلاً وبحراً، ولو علمت

أحداً تقدَّم عليَّ في هذا الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقَصدتُه .

٢ - قيمة كتابه وأهميَّتُه :

قال : وألَّفت هذا الكتاب فجعلته جامعاً للطرق المتلوَّة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنَّفاتي ، كَـ « الوجيز »، و « الهادي » وغيرهما .

٣ - منزلته العلميَّة :

قال الأمير ابن ماكولا [١] : كان يدرس علم النَّحو، ويفهم الكلام .

وذكره عبدالغافر ونعته بأنَّه ضرير، فيُحتمل أنَّه عمي في آخر عمره، وكانَ قد قرَّره الوزير نظام الدين في مدرسته بنيسابور فقعد سنتين وأفاد، وكان مُقَدَّماً في النحو والصرف وعلل القراءات، وكان يحضر مجلس أبي القاسم القشيري ويأخذ منه الأصول، وكانَ القشيري يراجعه في مسائل النَّحو والقراءات ويستفيد منه، وكان حضوره سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، وقد ذكر شيوخه الذينَ أخذَ عنهم القراءات في كتابه وعدَّتهم مئة واثنان وعشرون شيخاً في « كامله »[٢].

قلت : ثمَّ شرعَ ابن الجزري بذكر شيوخه الذينَ تلقّى عنهم أوجه القراءات واحداً واحداً .

وقال ابنُ الجزري - بعد سَردِ أسماءِ شيوخهِ - : كذا ترى هِمَم السادات في الطلب، وكانت رحلته في سنة خمس وعشرين وبعدها .

٤ - مآخذ العلماء عليه :

قال الذهبي [٣] : وله أغاليط كثيرة في أسانيد القراءات، وحشد في كتابه أشياء منكرة، لا تحلُّ القراءة بها، ولا يصح لها إسناد، إمَّا لجهالة النَّاقل، أو لضعفه .

(١) في « الإكمال » (١ / ٤٥٨) .

(٢) « غاية النهاية في طبقات القراء » (٢ / ٨٣) لابن الجزري .

(٣) في « معرفة القرّاء الكبار » (١ / ٤٣٣) .

وقد دافع عنه ابن الجزري - حولَ هذا - بقوله : هو معذورٌ في ذلك؛ لأنَّه ذكر ما لم يذكره غيره، وأكثر القراءِ لا علمَ لهم بالأسانيد فمن ثمَّ حصلَ الوهمُ .

وللحافظ أبي العلاء « الحواشي » على ذلك، ردَّ أكثرَها [1] إلى الصواب، وسكت عن كثير .

قلت : وقد أقرَّ ابنُ الجزري - رُغم دفاعِه عنه - بأشياء مما وقع له، وهذا لا يكادُ يخلو منه كتاب غير كتاب اللَّه فكيف بكتاب كـ « الكامل » الذي جمع فأوعى ؟!

٥ - تلقِّي أئمَّة القراءات كتاب « الكامل » بالقَبول والإعجاب :

وسمع « الكامل » ورواه عنه إسماعيل بن الإخشيد، وكذلك عبدالواحد بن حمد بن شيدة السكري، وأبو بكر بن محمد بن زكريا الأصبهاني النجار، وقرأ عليه بمضمن « كامله » وسمعه أبو العز القَلانِسيّ[2]، وعلي بن عساكر بن المرحب، وقرأ بـ « الكامل » إمام زمانه حفظاً أبو العلاء الهَمداني على أبي العز، ولا زالَ يقرىء به إلى آخر وقت .

وآخِر من رواه تلاوة فيما نعلم ابن مؤمن الواسطي .

وقال ابن الجزري : « قرأته أنا على الشيخين إبراهيم بن أحمد الإسكندراني ومحمد ابن النحاس بإجازة الأوَّل وسماع الثاني لبعضه بسندهما » .

قلت : وحسبك بقبول هؤلاء الأعلام أئمَّة الشأن به وقراءتهم وإقرائهم بمضمونه وعلى رأسها الإمامان العظيمان : أبو العِزّ القَلانِسيّ وابن الجزري وهما فرسان هذا الشأن وبكتبهما ومنظوماتهما امتلأت الآفاق .

---

(١) أي الأوهام التي وقعت في « الكامل » .

(٢) هو محمد بن الحسين بن بندار أبو العز القَلانِسيّ شيخ العراق ومقرىء القراء بواسط .

حُكم صَرفِ العُملات المُختَلفة

فتحي عبدالله سُلطان

يقولُ اللّه تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ يا أيُها الّذينَ آمَنوا اتّقوا اللّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إنْ كنتُم مُؤمنين . فإنْ لَم تَفعَلُوا فَأذَنُوا بِحَربٍ مِنَ اللّهِ وَرَسولِهِ وإنْ تُبتُم فَلَكُم رُؤوس أموالِكُم لا تَظلِمونَ وَلا تُظلَمون ﴾ [البقرة:٢٧٩-٢٨٧] .

■ الرِّبا لُغةً وشَرعاً :

الرِّبا لغةً : مقصور، وقد حُكي مدُّه وهو شذوذ، وهو من باب ربا يربو رُبُوّاً كعُلُوّ، ورَبا : زاد ونما، وقد وقع في خط المصحف بالواو [١].

يقال : ربا الشيء إذا زاد ونما، ومنه قوله تعالى : ﴿ اهتزّت ورَبَت ﴾ [الحج:٥].

قال القرطبي في « تفسيره » (١٣/١٢) : « أي : ارتفعت وزادت، وقيل : انتفخت، والمعنى واحد، وأصله الزيادة، ربا الزيادة والنماء » .

قال النووي في « شرح صحيح مسلم » (٨/١١-٩) :

« وقال أهل اللغة : والرماء بالميم والمد ، وكذلك الريبة بضم الراء والتخفيف لغة في الربا، وأصل الربا الزيادة، يقال : ربا الشيء يربو إذا زاد، وأربى الرجل وأرمى عامل بالرّبا » .

الرِّبا في الشرع : ويطلق الربا على كل بيع محرم [٢]، ويطلق أيضاً على ربا الفضل

(١) « لسان العرب » (١٤ / ٣٠٤ - ٣٠٧)، و « القاموس المحيط » (٤ / ٣٣٤) .

(٢) « فتح الباري » (٤ / ٣١٣) لابن حجر، « سبل السلام » (٣ / ٦٩) للصنعاني .
يفهم من إطلاق اسم الربا على كل البيوع المحرمة : أنّ مسمى الربا لا ينحصر بربا الفضل وربا النسيئة =

وربا النسيئة [1].

وقيل : الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع [2]، وهو عند أكثر العلماء نوعان :

أولهما : ربا النسيئة :

وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال، وكلما أخّره زاد في المال، حتى تصبح المئة عنده آلافاً مؤلفة، وفي الغالب لا يفعل ذلك إلّا معدمٌ محتاج [3] وتحريم ربا النسيئة ثابت في الكتاب والسنة، ولذلك فقد أجمع الصحابة على تحريمه، واستدلوا في ذلك إلى حديث أُسامة بن زيد رضيَ اللّه عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال : « لا ربا إلّا في النسيئة » [4].

النوع الثاني : ربا الفضل :

وهو زيادة أحد البدلين على الآخر في مبادلة المال الربوي بجنسه مناجزةً في الحال، وذلك مثل بيع الذهب بالذهب، أو التمر بالتمر، وما أشبهَ ذلك من الأموال الربوية .

وتحريم ربا الفضل ثابت في « الصحيحين » وغيرهما، ومنها حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه عن النّبي ﷺ أنّه قال : « الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف

= فقط، وأنّ تخصيصها بالذكر من باب أشد الربا وعيداً .

ويشهد لذلك الحديث : « الربا اثنان وسبعون باباً، أدناه مثل إتيان الرجل أمه » انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » رقم (١٨٨٧١) .

(١) « فتح القدير » (٨ /٢٩٤) للشوكاني .

(٢) « النهاية في غريب الحديث » (٢ / ١٩٢) لابن الأثير .

(٣) « إعلام الموقعين » (٢ / ١٣٥) لابن القيّم .

(٤) رواه البخاري (٣ / ٣١) ومسلم (١١ / ٢٥ - النووي) .

ومعنى النفي الذي ورد في حديث أسامة رضي اللّه عنه هو نفي الكمال وبيان أنّ الربا الأغلظ في التحريم والوعيد هو ربا النسيئة، وهو بذلك أشد أنواع الربا، قال ابن القيم في « إعلام الموقعين » (٢ / ١٣٥ - ١٣٦) : « ومثل هذا يراد به حصر الكمال، وإن الربا الكامل إنّما هو في النسيئة » .

وقريب منه قولُ الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٤ / ٣٨٢) : « وقيل المعنى في قوله : « لا ربا » : الربا الأغلظ الشديد التحريم المتوعد عليه بالعقاب الشديد، كما تقول العرب : لا عالم في البلد إلّا زيد، مع أن فيها علماء غيره، وإنّما القصد نفي الأكمل لا نفي الأصل » .

فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » [1].

عِلَّة تحريم الرِّبا :

إنَّ جماع الاجتهاد الذي يكون قياساً هو : معرفة ما يعرف عند الأصوليين بِـ :

أولاً : تخريج المناط : وهذا هو القياس المحض، وهو أن ينص على حكم في أمور قد يظن أنَّه يختص الحكم بها، فيستدل بها أن غيرها مثلها، إما لانتفاء الفارق أو للاشتراك في الوصف الذي قام الدليل على أنَّ الشارع علَّق الحكم في الأصل، فهذا القياس الذي تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس .

ثانياً : تحقيق المناط : وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلي، فينظر في ثبوته في بعض الأنواع أو بعض الأعيان كأمره باستقبال الكعبة، فينظر : هل هذه هي الكعبة ؟

وفي إطار بحثنا لابد من معرفة « تخريج المناط » : أي استخراج مناط تنضبط به قاعدة ما يجري فيه الربا، ومعرفة علّة تحريم الربا في النقدين الذهب والفضة .

وكذلك معرفة « تحقيق المناط » : فينظر : هل أنَّ علة الربا متحققة في الأوراق النّقديّة السائدة في عصرنا ، والتي هي مدارُ بحثنا ؟

تخريج مناط ما يجري فيه الربا : الشارعُ نصَّ على تحريم الفضل في ستة أعيان، وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، وهذه الأصناف المذكورة في الأحاديث يسميها الفقهاء بِـ « الأصناف الربوية المنصوص عليها »، وتنازعوا فيما عداها .

أما القائلون ببطلان القياس، كداود الظاهري وابن حزم فقصروا الحكم على الأصناف الستة المذكورة، ولم يدخلوا معها غيرها ألبتة [2].

أما القائلون بالقياس، فقد اختلفوا في تحديد العلة اختلافاً كبيراً :

فالعلة عند مالك : الثَّمَنِيَّة في النقدين، والاقتيات والادِّخار في الأربعة الباقية .

وعند أبي حنيفة : القدر والجنس، فكل ما كان موزوناً - أو مكيلاً - واتحد جنسه، فهو

(١) مسلم (١١ / ١٤ - نووي) .

(٢) « المحلى » (٨ / ٤٦٧ - ٤٦٩) لابن حزم، ومذهب أهل الظاهر هذا يروى عن قتادة، ورجحه أبو الوفاء ابن عقيل في « مفرداته »، وضعَّف الأقوال الأخرى، انظر « مجموع الفتاوى » (٢٩/٤٧٠-٤٧١) .

داخل في الربويات .

وعند الشافعي : العلة في الذهب والفضة : كونهما جنس الأثمان غالباً [1] أما في الأصناف الأربعة الباقية، فالعلة عنده هي (الطعم) يعني كونه مطعوماً، لذلك أدخل فيه ما يؤكل من غير الأصناف المذكورة، ولو كان مما يدخر كالفواكه ونحوها .

ولأحمد روايتان : الأولى : توافق قول أبي حنيفة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : هي أشهر الروايات عنه .

والثانية : توافق قول الشافعي، أي : في الثمنية والطعم [2].

ومطلق الثمنية مناط منضبط لأنَّ الشارع علق الحكم بالذهب والفضة باعتبارهما رؤوساً للأثمان، وقيماً للمتلفات، وهذا القول اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم [3] وغيرهما من محققي العلماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٢٩ / ٤٧١-٤٧٢) :

« والتعليل بالثمنية تعليل بوصف مناسب، فإنَّ المقصود من الأثمان أن تكون معياراً للأموال يُتَوسَّل بها إلى معرفة مقادير الأموال، ولا يقصد الانتفاع بعينها » .

خصائص الأوراق النقدية :

بعد أن علمنا أنَّ علَّة تحريم الرِّبا في الذهب والفضة هي الثمنية، ولكي نتحقق من كون العلَّة المذكورة متحققة في الأوراق النقدية السائدة اليوم لابد من دراسة خصائص الأوراق النقدية وماهيتها :

أولاً : من المعلوم بالضرورة أنَّ الأسماء التي علق اللَّه بها الأحكام في الكتاب والسنَّة : منها ما يعرف حده ومسماه بالشرع، وهذا قد بينه اللَّه ورسوله؛ كاسم الصلاة، والزكاة، والصيام،

(١) أُنبِّه هنا أنَّ الإمام الشافعي - رحمه اللَّه تعالى - اعتبر الثمنية في الذهب والفضة علة قاصرة عليهما لا تتعداهما إلى غيرهما في حين أنَّ العلَّة القاصرة لا يصح التعليل بها في اختيار أكثر أهل العلم، وقد تعقب ذلك الإمام النووي في الرد على الشافعية، فانظر كلامه في « المجموع » (٩ / ٤٤٤ - ٤٤٥) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٢٩ / ٤٧٠ - ٤٧١)، « أحكام النقود في الشريعة الإسلامية » (ص٢٦) لمحمد سلامة .

(٣) انظر لزاماً ما ذكره ابن القيم في أوجه التعليل بالثمنية في « إعلام الموقعين » (٢ / ١٣٧) .

والحج، والإيمان، والإسلام، والكفر، والنفاق .

ومنه ما يعرف حدّه باللّغة، كالشمس، والقمر، والسماء، والأرض، والبرّ، والبحر .

ومنه ما يرجع حدّه إلى عادة النّاس وعرفهم، فيتنوع بحسب عادتهم، كاسم البيع، والنكاح، والقبض، والدرهم، والدينار، ونحو ذلك من الأسماء التي لم يحدها الشارع بحد، ولا لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة، بل يختلف وصفه باختلاف عادات الناس .[1]

فالحقائق ثلاث : لغوية، وشرعية، وعرفية، وأصبح الاسم الحقيقي والعرف الذهني للنقد لا ينصرف إلّا إلى هذه الأوراق، فحملت هذه الأسماء حقائق عرفية، لأنَّ العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني[2].

فإذا علمنا أنَّ اللّه تعالى خلق الذهب والفضة كثمن للمبيعات، وبه تعرفُ قيمةُ المتلفات والكفارات كان سائر ما تعارف النّاس على ثمنيته من غير الذهب والفضة (أثماناً) بالاصطلاح، ولا يعد ذلك من قبيل العروض ألبتة [3].

ولقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ مسمى النقد راجع إلى تعارف الناس عليه دون النظر إلى مادته، فقال الإمام مالك رحمه اللّه تعالى كما في « المدونة الكبرى » (٣٩٦/٣) :

« ولو أنَّ النّاس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نَظِرَةً »[4] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى في « الفتاوى » (٢٤٩/١٩) :

« وعلى هذا فالناس في مقادير الدراهم والدنانير على عاداتهم، فما اصطلحوا عليه وجعلوه

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١٩ / ٢٣٥) .

(٢) هذا لا يعني أنَّ ما تعارف عليه النّاس من النقد الأصلي، بل يظل الذهب والفضة عند المسلم الأصل الذي تُرَدُّ إليه سائر الأثمان ويقوم به كل ما يجب في ذمته مما حدّده الشارع الحكيم بالذهب والفضة، كتحديد دية القتيل ونصاب الزكاة ...

(٣) يترتب على القول بأنَّ الأوراق النقدية وكذا الفلوس بأنواعها من قبيل عروض التجارة فساد عظيم من جهة إباحة الربا بنوعيه وكذلك من جهة تعطيل أحكام الزكاة .

(٤) نظرة : أي مؤجلة، والإمام مالك رحمه اللّه تعالى أرادَ بالكراهة هاهُنا كراهة التحريم؛ على اصطلاح السلف الأول .

درهماً، فهو درهم، وما جعلوه ديناراً فهو دينار ... »[1].

ثانياً : أنَّ قيمة الأوراق النقدية اعتبارية ليست ذاتها، كما هو الشأن في الذهب والفضة وإنَّما قيمتها تأتي من إصدارِ الدولة لها، وتعارُفِ النَّاس واصطلاحِهم على اعتبارها أثماناً، وصفة الثمنية قائمة بها لا تزول إلّا بأن تصدر الجهة المخولة أمراً بزوالها، أو أن يتعطل التعامل بها بالكُلِّيَّة، فلا تصبح آنذاك ثمناً يتوصل بها إلى تقويم السلع [2].

ولا يمكن الجزم بأن قابلية هذه الأوراق كوسيط للتبادل جاءت من وجود غطاء من الذهب لها، إذا ما علمنا من واقع الحال بعدم التزام الدول بتغطية إصدارها النقدي بالذهب فضلاً عن بعض الدول تغطي بعضه، أو أنَّها تغطيه بسندات تجارية أو عقارات كما حصل في ألمانيا سنة ١٩٢٣م بعد انهيار ثقة الشعب الألماني بالمارك [3].

لذلك لا يقال : إنَّ الأوراق النقدية متفرعة عن غطاء، لأنَّ الهدف من الغطاء هو زيادة الثقة بالأوراق النقدية والحد من سلطات الدول في الإصدار النقدي الجديد [4].

ثالثاً : الأوراق النقدية تصلح كوسيط للتبادل العام للقيم ومستودع للثروة، وهي بهذا المعنى وسيلةٌ يتوصل بها إلى معرفة مقادير السلع .

وعليه فإنَّها أثمان بالاصطلاح قامت مقام الذهب والفضَّة [5] بموجب الأحكام السلطانية والحقائق العرفية، ويجري فيها الربا بنوعيه، لأنَّ القدر المشترك بينهما وبين الذهب والفضة واحد وهو التعليل بالثمنية، فضلاً عن أنَّ الحكمة في تحريم الذهب متحققة في الأوراق النقدية، فتأمل .

(١) وانظر نحوه في « مجموع الفتاوى » (١٩ / ٢٥١ - ٢٥٢) أيضاً .

(٢) لا يظهر الفرق بين العملة الورقية والمعدنية إلّابعد كساد العملة، فإن كانت مضروبة من المعدن تعود إلى أصلها كسلع، وإن كانت مصدرة بأوراق فلا قيمة لها بعد الكساد لأنَّها آنذاك لا تساوي حتى تكلفة إصدارها .

(٣) انظر « الأوراق النقدية » (ص٣٦ - ٣٧) .

(٤) نلحظ في واقع الحال أنَّ قيمة الورق النقدي تابع أيضاً لجوانب سياسية واقتصادية ولتقلبات الأسعار في أسواق البورصة العالمية، بل إنَّ كثيراً من العملات خاضعة لعملات أخرى من حيث القيمة، كخضوع بعض العملات الوطنية للدولار الأمريكي .

(٥) إنَّ الناس في هذا العصر قد تعارفوا على خلاف الأولى، لأنَّ اللّه تعالى جعل النقدين الذهب والفضة حكمين عدلين فيما اختلفوا فيه من قيم الأشياء ولو غاب الحاكم لاضطرب أمر النَّاس في المعاملات ولقد نبه على ذلك الغزالي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

المؤتمر السَّادس لجمعيَّة القُرآن والسُّنَّة في أمريكا الشمالية

د. محمد الجبالي

ذكرتُ في العددِ الماضي شيئاً حولَ ما افتتحنا به هذا المؤتمر ، وسُقتُ الكلمة الافتتاحية بتمامها .

وأُتابعُ اليومَ ذِكرَ شيءٍ من مُجرياته .

وقبل ذلك أقولُ :

يا طِيبَ قَلباهُ بلُقيا إخوةٍ ... بهمُ اجتمَعنا في طريقٍ أوحدِ

توحيدُ ربِّ النَّاسِ جُلُّ مُرادنا ... وبخير رُسْلِ اللَّه كُلٌّ نقتدي

فمدارُ منهجنا كتابُ إلهنا ... والسُّنَّةُ العصماءُ سُنَّةُ أحمدِ

ثمَّ الهُدى هَدْيُ الصحابةِ بعدَه ... خيرِ الأُلى مِن أهلِ قرنٍ أمجدِ

اِلزَم خُطاهُم واقتَفي آثارَهم ... دونَ ابتداعٍ أو غُلُوٍّ تَسْعَدِ

ثمَّ كان من أهم ما تميَّز به هذا المؤتمرُ عن غيرِهِ من المؤتمرات التي تُعقد في الدول الغربية أنَّه تضمَّن برنامجاً علمياً دعوياً تربوياً دقيقاً ، بُنِيَ على ثلاثةِ محاور :

الأول : المحاضرات والندوات العامة؛ وهي لعامَّة الحضور ، منها :

١ - واقع الأمة ؛ أسباب الوَهَن وسبيل النهوض : الشيخ علي خشان .

٢ - واقع الأمة ؛ ونبوّات الصَّادق المصدوق ﷺ : الشيخ سليم الهلالي .

٣ - غاية الغايات ومقصد النبوَّات : الشيخ أحمد عبداللطيف .

٤ - واقع الأمة ؛ والتفريط في محبَّة نبيّ الرَّحمة ﷺ : الشيخ أبو إسحاق الحويني .

٥ - واقع الأمة ؛ الدَّاء والدَّواء : الشيخ صالح بن غانم السدلان .

٦ - واقع الأمة ؛ وأثر موافقة أهل الجحيم : الشيخ عقيل المقطري .

٧ - نظرات في واقع الجماعات الإسلامية : الشيخ جعفر الشيخ إدريس .

٨ - حراسة السنَّة ودورها في نهضة الأمة : الشيخ علي الحلبي .

٩ - ولا تنازعوا فتَفشلوا : الشيخ سليمان السلُّومي .

١٠ - واقع الأمة ؛ بين الاستعجال وصناعة الرجال : الشيخ مجدي وردة .

وإلى جانب ذلك كلّه عُقِدَت ثلاثُ ندواتٍ علميَّةٍ دعويَّةٍ شاركَ فيها عددٌ من العلماءِ والدُّعاة ؛ وهي :

أ - التطوُّرات الأخيرة في العالم الإسلامي .

ب - أثر غياب السيف والسِّنان في ضعف الأمة .

جـ - أحوال الدَّعوة في أمريكا .

الثَّاني : البرنامج العلمي للنِّساء : وقد تضمَّن إلقاءَ محاضراتٍ من بعض الأخواتِ الفاضلات من طالبات العلم الداعيات .

وتضمَّن - كذلك - إلقاءَ عَددٍ من العُلماء المدعوِّين - من وراءِ حجابٍ - عدداً من المحاضرات العلميَّة والتربوية التي تُفيد المرأة المسلمة سواءٌ في ذات شخصيتها ، أم في سائر شؤونها ؛ إما مع زوجها ، أو أبنائها ، أو أخواتها .. وهكذا .

من ذلك :

١ - واقع الأمة ؛ أسباب الوَهَن وسبيل النهوض : للأخت رُقيَّة المحارب .

٢ - التربية الإسلامية للمرأة : الشيخ جعفر الشيخ إدريس .

٣ - شخصية المرأة المسلمة ؛ ضوابط وأُسُس : الشيخ علي الحلبي .

٤ - هموم المرأة المعاصرة : الأخت رقية المحارب .

٥ - مواقف النساء بين الحق والتعصُّب لرأي الزوج والأهل : الشيخ سليمان السلُّومي .

٦ - صور من حياة زوجات النَّبي ﷺ ونساء السَّلف : الشيخ أبو إسحاق الحويني .

٧ - كيف تُرَبِّي المرأة المسلمة أولادَها ؟ : الشيخ سليم الهلالي .

٨ - التهاون في حياة المرأة المسلمة : الشيخ علي خشّان .

٩ - مخالفات فقهية تقع فيها النساء : الشيخ علي الحلبي .

١٠ - الاستفادة من الوقت في حياة المرأة المسلمة : الشيخ عقيل المقطري .

١١ - الأثر التدميري للرَّائي - أي : التلفاز - : الأخت محاسن الزهراني .

وقد رافقَ كثيراً من هذه المحاضراتِ إجاباتٌ علميَّةٌ لكثيرٍ من الأسئلة التي تهم المرأة المسلمة في حياتها ، تفضل بالإجابة عنها عدد من العلماء المدعوِّين ، منهم الشيخ صالح بن غانم السَّدلان ، وغيره من المشايخ المشاركين .

وعُقدت لهنَّ - أيضاً - ثلاثُ ندواتٍ علميّة دعويَّة .

الثَّالث : البرنامج الخاصّ للمسلمين النَّاطقين بغير العربيَّة ، وقد شارك فيه سائر العلماء والدعاة المدعوِّين ؛ إما بمحاضرات أو إجابات علميَّة ، ونحو ذلك .

وهذه المحاضرات كانت تُلقى أحياناً باللُّغة العربية ، ثم تُتَرجَم لِلُّغَة الإنجليزية - فوراً - ، وأُلقيت بعض المحاضرات باللغة الإنجليزية مباشرة .

والمحاضراتُ التي أُلقيت على الإخوة النَّاطقين بغير العربية لا تخرج - في عمومها - عن مضمون المحاضرات والنَّدوات العامة .

وفي ختام المؤتمر ؛ وبعد انقضاءِ هذه المجالس العلميّة العامرة بأنوار الوَحيَين العظيمين - كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ - شَعَرنا بالدموع تنهمرُ من المآقي ، وشَعرنا بالحُزن يَلفُّ نفوسنا ، وتمنَّينا لو أنَّ هذه الأيام الأربعة طالت وطالت، لِمَا رأيناه من فوائد علميَّة ، وثمرات إيمانيَّة .

وختاماً : أسأل اللَّهَ سبحانه أن يُعظِم لنا الأجر ، وأن يُثَبِّتنا ، ويُحسن ختامنا إنَّه سميعٌ مجيبٌ .

مسائل وأجوبتها

العلامة المحدث أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني

مَدخلٌ : هذا البابُ يحوي بين سطوره الإجابةَ على ما يُشكِلُ على الإخوة القُرّاءِ مِن مسائل علميّة فقهيّة، أو مباحث حديثيّةٍ أو عقيديّة، أو غير ذلك من مُهمّات تتّصل بشرعِ اللّهِ سبحانَه .

وسنقومُ - إنْ شاءَ اللّه - بعرضِ ما يَرِدُنا من ذلك على شيخنا العلّامة محمّد ناصرالدِّين الألباني، للإجابة عليه، فجزاهُ اللّهُ خيرَ الجزاء .

وعليه؛ فإنّنا نُرحِّبُ باستفسارات القرّاء وأسئلتهم، سائلين اللّهَ سُبحانَه النّفعَ والتّوفيقَ .

سؤال / ١ : كيف نُوفّق بين رواية : « بشماله » الواردة في حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما في « صحيح مسلم » ، وقوله ﷺ : « وكلتا يديه يمين » ؟

o **جواب** : لا تعارض بين الحديثين بادئ بدء ؛ فقوله ﷺ : « ... وكلتا يديه يمين » تأكيد لقوله تعالى : ﴿ ليسَ كمثلِه شَيءٌ وهو السَّميعُ البَصير ﴾ ، فهذا الوصف الذي أخبر به رسول اللّه ﷺ تأكيدٌ للتنزيه ، فيد اللّه ليست كيد البشر : شمال ويمين ، ولكن كِلتا يديه - سبحانه - يمين .

وأمر آخر ؛ أنّ رواية : « بشماله » شاذة ؛ كما بينتها في « تخريج المصطلحات الأربعة الواردة في القرآن » (رقم ١) للمودودي .

ويؤكد هذا أنَّ أبا داود رواه وقال : « بيده الأخرى » بدل « بشماله » وهو الموافق لقوله ﷺ : « وكلتا يديه يمين » ، واللَّه أعلم .

سؤال / ٢ : ما هو حكم الفيديو الإسلامي ؟

o **جواب** : لا يمكن الإيمان بهذه التسمية في هذا العصر الذي انقلبت فيه الأهواء ، واضطربت فيه الموازين ، ولكن يوم يأذن اللَّه بقيام حكم إسلامي - وعسى أن يكون قريباً - ويتألف مجلسٌ من علماء الشريعة ، يقوم هذا المجلس بوضع نظام للفيديو الجائز شرعاً ، عندئذ يجوز ذلك ضمن ضوابط شرعيَّة ، وقواعد علميَّة ، ، أما اليوم والأهواء تعتمل في النفوس فلا مجال للقول بجوازه إلّا إذا أردنا أن نسمي الأشياء بغير اسمها كالبنك الإسلامي ، والنشيد الإسلامي ، و .... إلخ .

سؤال / ٣ : ما هو الشَّرحُ الصَّحيح لقول النَّبي ﷺ : « يَؤُمُّ القَومَ أقرؤُهُم لكتاب اللَّه ... » ؟

o **جواب** : الحديثُ - أولاً - في « صحيح مسلم »، والصوابُ في معناهُ حملُه على ظاهره؛ وهو الحفظُ لكتابِ اللَّهِ سبحانه وإتقانُ تلاوته، دون ما يتوهَّمه البعضُ من الفِقه ولَو دونَ القراءة والحفظِ !

ومما يدلُّ على هذا المعنى حديثُ الصحابيِّ الصغيرِ عمرو بن سَلِمَةَ [1] الذي كان إمامَ قومِه معَ أنَّه أصغرهم - لأنَّه أحفظهم لكتاب اللَّه -، ولم يرد في الحديث ما يُشير إلى شيءٍ آخرَ تميَّز به هذا الصحابيّ سوى القراءَة والحفظ، دونَ ذكرِ الفقهِ .

وبخاصة أنَّه يندُر - عادةً - أن يكون الأحفظُ ليس من المتفقهين فضلاً عن أن يكون من الجاهلين بالفقه، وهذا ظاهرٌ بحمد اللَّه .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » .

أحوالُ العالَم الإسلامي

التحرير

● جولاتُ السَّلامِ ... متى الضَّربةُ القاضِيةُ ؟

رُبَّ تعبيرٍ صريحٍ لم يقصدهُ أهلُه، ولكنَّه صحيحٌ لأنَّه وقعَ في مَحلِّه؛ ومن ذلك ما تُرَدِّدهُ وكالات أنباء المفاوضين لليهود حولَ قَضيَّة فلسطين مُسمِّية تلكُم اللقاءات وهاتيك المُفاوضات المُحكمة بسِلسلة التَّنازلات بِـ « جولات السلام » ... ولكنَّ المتأمِّل في مَسيرها يرى أنَّها ستنتهي بضَربةٍ قاضيةٍ على حَلبة الأطماعِ اليهوديَّة ؟!!

فهل ستنتهي بوثيقةِ اعترافٍ مُعمَّدةٍ في رُدُهات هيئة « اللمم » بأنَّ فلسطين أرض الميعاد ؟!

سَيُلحِقونَ فِلسطينَ بأندلسٍ
وَيَعطِفونَ عَليها البيتَ والحَرما

ولكن هل يتذكَّر « ملوك الطَّوائف » من الأندلس الإبادة !؟ أم يتناسَونَ أنَّ «مؤتمر مدريد» كان في « الأندلس » في مناسبة مرور خمس مئة عام على ضياعها ؟!

أم ينتَظرونَ قفزةً يهوديَّة لتحقيق « إسرائيل الكبرى » ؟! .. فإنَّ خريطتها لم تزَل منقوشةً على حجارةِ « الكنيست »، ولم يَزَل النيلُ والفُرات مرسومين على رايتها !!!

أم انهيارُ الحصارِ الاقتصادي للدَّولةِ المسخ « إسرائيل » هو أوّل خطوات السلام ؟!.. فالتَّطبيعُ القائمُ القادمُ هو سياسةُ الاختراقِ الصّهيوني في عِقدِ التِّسعينات .

ومع كثرةِ الاحتمالات وتَداعيها عَلى الخاطِر، فإنَّنا لا نَرى أنَّ اليهودَ سيتنازلون عن الأرض مقابلَ السَّلام إلّا بصورةٍ (كرتونية) بحيث يكونُ لهم الأمرُ والنَّهيُ؛ لأنَّنا

تدبَّرنا قوله تعالى وهو يصفُ نَفسيَّة يَهود : ﴿ أَمْ لهُم نَصيبٌ مِن المُلكِ فإذاً لا يُؤتونَ النَّاسَ نَقيراً ﴾ .

● **أفغانستان ... إلى أين وإلى متى ؟**

فَرِحَ المستضعفون في الأرض عندما قالوا : فُتحت كابول ! وابتسموا عندما قالوا : قُطفت ثمارُ جهادٍ طويلٍ وصبرٍ مريرٍ ! ولكنها أحلامُ يقظةٍ أو أضغاثُ أحلامٍ عندما أفاقَ المحتفلون على أصواتِ الصواريخِ التي يوجهها المجاهدون إلى صدورِ إخوانهم في الدِّين ورفاقهم في السِّلاح !!!

لقد توجَّسنا خيفةً من قبل عندما رأينا الخليطَ العجيبَ للأحزابِ؛ فذاك صوفيٌّ، وآخر خُرافيٌّ، وثالث عصرانيٌّ، ورابع شيعيٌّ رافضي ... ألم يكُن باستطاعةِ المجاهدين أن يُرَبُّوا جيلاً سُنِّيّاً يعرفُ ربه ويعرفُ دينه ويعرف حقوقَ المسلمين ... حتى إذا جاء يومُ الحصادِ لم نضطرب ولم نَزِغ؛ فنَستنزِف قوتنا بأيدينا، ونشهد طائعين على خرابِ بيوتنا (!)

إنَّ للنَّصر تكاليفَ في ذات النَّفس وفي واقع الحياة : للنصر تكاليفُه في عَدم الزَّهوِ والبَطر، وفي عدم التَّراخي بعده والإخلادِ إلى الأرض .

إنَّ صلاحَ القلوب وثباتها على الحقِّ بعد النَّصر والتمكين منزلةٌ أخرى فوقَ النَصر، فهي التي تحميه وتحرسه : ﴿ يا أيها الَّذينَ آمنوا إن تَنصُروا اللَّهَ ينصركم **ويثبِّت أقدامكم** ﴾ .

نأملُ من الأخوة المُتحاربين في أفغانستان - وقد ألقَوُا السِّلاحَ أخيراً ! أن يُحكِّموا كتاب اللَّه وسُنَّة رسوله ﷺ فيما شَجر بينهم، وألّا يعودوا لمثلِه أبداً .

نَرجو أن لا يتنازعوا فيفشلوا وتَذهب ريحهم، فيقفز أعداء اللَّه في غفلةٍ منهم؛ ليقتَنصوا فوزَهم، ويكسبوا (ثَورتهم)، لأنَّهم يمكُرون ويُراقبون ويُخططون، فتصير أَزِمَّة الأمورِ في أيديهم، وحالتئذٍ لا ينفعُ النَّدم، ولات حينَ مَندَم، ولو نَدِموا نَدامةَ الكسالى .

من أحكام الحج وآدابه

« ما لا بدَّ منهُ بينَ يَدي الحجِّ »

محمد بن موسى بن نصر .

أخي المسلم الكريم :

ها أنت قد عزمت على شدِّ الرحالِ إلى بيتِ اللَّه الحرام ملبياً نداء أبيك إبراهيم الخليل عليه السلام، آخذاً نسكك عن نبيك محمد ﷺ، لتؤدي فريضتك، وتقيم شعيرتك، وتُعظم بيت اللَّه، وتظهر الذُلَّ والعبودية للَّه تحقيقاً لقول اللَّه : ﴿ وَللَّه على النَّاسِ حِجُّ البيتِ مَن استطاعَ إليهِ سبيلاً ﴾ ، وقول رسول اللَّه ﷺ « أيُّها النَّاس إنَّ اللَّه فرضَ عليكم الحج فحجُّوا » .(١)

فعليك أخي الحاج أن تُجَرِّد الهمَّة لهذه المُهمَّة التي كتبها اللَّه عليك وجعلها إحدى مباني الإسلام، لترجع بحجٍّ مبرورٍ وتُجزى بالجنَّة، فتغسل حوبتك، وتعلن توبتك، وترجع من ذنوبك كيوم ولدتك أمك؛ صافياً نقياً كالثوب الأبيض المنقى من الدنس .

وإليك أخي الحاج بعض هذه المهمات الواجبات، لتكون على بينة من دينك، فتفعل ما يَزينك ولا يَشينك .

أولاً : الإخلاصُ للَّه والبعدُ عن الرِّياء والتَّسميع :

وذلك أنَّ اللَّه لا يقبلُ من العمل إلّا ما كان خالصاً للَّه وابتغي به وجهه، لقول اللَّه في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »، وقال تعالى : ﴿ وما أُمِروا إلّا ليَعبُدوا اللَّه مخلصينَ لهُ الدِّين حُنفاءَ ﴾ فمن حج يبتغي الذكر والصِّيت انقلب إليه عملُه ولم يُرفع فوقَ رأسه .

---

(١) وكل ما ورد في هذا المقال أحاديث صحيحة ، معظمها في « الصحيحين » ، أو أحدهما .

ثانياً : المتابعةُ لرسولِ اللَّه ﷺ ظاهراً وباطناً ؛

فالإخلاصُ للَّه دون متابعةٍ لرسول اللَّه لا يكفي ولا يجزىء، فأبى اللَّهُ أن يقبل عملاً إلّا إذا أخلص فيه صاحبه للَّه وجَرَّد المتابعة لرسول اللَّه .

وقال ﷺ : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وحتى تقتدي به الأمة في حجّها ليكون صحيحاً مقبولاً مبروراً قال : « لتأخذوا عني مناسككم » .

وقد حفظ أصحابه صفةَ حجه ﷺ منذ خروجه من المدينة وحتى عودته إليها من غير زيادة ولا نقصان، وحديث جابر بن عبداللَّه - الصحابي الجليل - أكبرُ شاهدٍ على ذلك .[1]

ثالثاً : اجتنابُ الشِّرك بأنواعِه وأشكاله :

وذلك أن الشرك أعظم ذنب عصى اللَّه به، وهو محبطٌ للعمل مخلّدٌ في النَّار لا يقبلُ اللَّه من صاحبه صرفاً ولا عدلاً قال تعالى : ﴿ ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنَّ عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ ، وقال : ﴿ ولَو أشرَكوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعمَلون ﴾ ، وقال : ﴿ إنَّ اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

رابعاً : التَّوبةُ وَرَدُّ المظالم :

على الحاج أن يتوبَ من ذنوبه توبة نصوحاً، لأنَّ الإصرار على الذَّنب نذيرُ شرٍّ واستخفافٍ باللَّه يؤدي إلى سوء الخاتمة وشر العاقبة في الدنيا والآخرة، فما من مصيبةٍ إلّا بذنبٍ، وما من نعمةٍ إلّا بتوبةٍ واستغفارٍ وطاعةٍ، والفلاحُ معلّق بالتوبة قال تعالى : ﴿ وتُوبوا إلى اللَّه جميعاً أيُّها المؤمنون لعلَّكم تفلحون ﴾ .

والعذابُ معلقٌ بالمعاصي والذنوب فهلاكُ الأمم والشُّعوب من حصاد المعاصي والذنوب، ويجب عليك أخي الحاج أن تردَّ المظالمَ إلى أهلها، وتؤدي الديونَ إلى أصحابها،

(١) وقد جمع شيخنا ألفاظه وطرقه في كتابه المستطاب « حجة النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم » .

وتُرجِع الأمانات إلى أربابها .

خامساً : اختيارُ المالِ الحَلال والنفقةِ الطَّيِّبة :

لأنَّ اللَّه طيبٌ لا يقبلُ إلّا طيِّباً، فمن حجَّ بمال رَبَوي أو بمالٍ من كسبٍ حرام لم يرجع بحج مبرور، وإن كان حجُّه صحيحاً عند الجمهور، ولكنه إلى الحج المأزور أقرب منه إلى المأجور، وصدق الشاعر إذ يقول :

إذا حججت بمالٍ كلُّه سحتٌ ... فما حَججت ولكن حجَّت العيرُ

لا يقبل اللَّهُ إلّا كلَّ صالحةٍ ... ما كل من حجَّ بيت اللَّه مبرورُ

سادساً : التماسُ الرَّفيق الصالح :

ينبغي على الحاج أن يصاحب رفيقاً يذكّرُه إذا نسي، ويقويه إذا عَجز، ويصبرُه إذا يئس، ويشجعُه إذا جبن، يأخذ بيده للخير ويدله عليه، يحب له الخير كما يحبه لنفسه، ينصح له في حله وترحاله، لأنَّ رفيق السوء مجيئه مخذلة، يضل صاحبه ويلقي به في مهاوي الرَّدى، ولا تؤمن غوائله وبوائقه، قال عمر رضي اللَّه عنه : « ولا تصاحب الفجار فتتعلم من فجورهم » وشبهه النَّبي ﷺ - كما في « الصحيح » - بنافخ الكير .

وهذا مذمة ومنقصة .

وقديماً قيل : قل لي من صاحبك أقل لك من أنت .

قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وَسَل عن قرينه ... فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

فصاحبك جنتك أو نارك فاختر أيهما شئت .

وعلى الحاج أن يحذر من السفر وحده لأنَّ الطرق والأسفار لا تؤمن غوائلها، ويجتمع في الأسفار من المفاجآت والأخطار وانتشار الهوام والجن ما لا قِبَلَ للرجل وحده به، والمؤمن قوي بإخوانه وقد ورد النَّهي عن سفر الرجل وحده .

السابع : ألّا تخرج المرأة إلّا مع زوج أو محرم لها :

لأنَّ الحج لا يجب على المرأة مع عدم المحرم، وهي حينئذ ممن قال اللّه فيهم : ﴿ وللّه على النّاس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ فهي إذا لم تجد المحرم تكونُ من جملة غير المستطيع؛ لأن حفظ الأعراض والدماء والأموال مقدم على أداء الحج، ومن رحمة اللّه بالأمة أن جعل الحج على الاستطاعة لعلمه جل جلاله ضعف الناس، ولا يلتفت في هذا المقام ما يُفتي به (بعضُ) المُفتين مِن إجازة حَجِّ المرأةِ مع نسوة ثقات دون محارمَ !!

وقد بسطنا الكلام حول هذا الأمر في رسالةً مفردة فليرجع إليه .

والخلاصة : أنَّ المرأة إذا خرجت من غير محرم أثمت، ولكن صحَّ حجها .

ثامناً : ملازمة مكارم الأخلاق وحسن العشرة مع رفقته :

فيجب أن يكون حسنَ الخُلق لأنّه أثقل شيء في الميزانِ وسوء الخلق مُحْبطٌ للأجر والثواب، فعليك أخي الحاج بخفض الجناح لإخوانك ولين الكلام والصبر على الأذى، وبذل المعروف والقيام على خدمتهم والتجافي عن الإساءة لهم .

وهذه أخي الحاج بعض المهمات الجليلات التي يلزمك التحلي بها حين حجك وعمرتك سردتها لك للذكرى والنصيحةِ . وقد اقتصرت على الأهم من هذه التنبيهات والمقام لا يتسع للبسط والإسهاب جعلني اللّه وإياك هداة مهتدين والحمد للّه ربّ العالمين .

o o o o o

لا حَرَجَ .. أيُّها الحَجيجُ !

علي بن حسن

التَّأني في الأحكامِ الشَّرعية أمرٌ حسَنٌ جدّاً يدُلُّ على إيمانٍ في النُّفوس، وصلاحٍ في القلوب .

ولكنَّ هذا التَّأني ينقلبُ على (بعضِ) الناس إلى (وسوسةٍ) زائدةٍ يأبونَ معها القيامَ بأُمورٍ مُباحةٍ سائغةٍ لا يمنعُها الشرعُ، ولا يُحرِّجُ فيها .

ومن هذه الأمورِ أمورٌ مُتعلِّقةٌ بالحجِّ عامَّةً، وبالإحرامِ خاصَّةً، يتحرَّجُ الكثيرون مِن النَّاس فيها، وهي - قطُّ - لا حرجَ فيها .

من ذلك :

١ - **الاغتسال** : سواءٌ أكان للتطهُّر - الناتج عن الاحتلام - أم للتبرُّد أم للنظافة .

ويتبع ذلك - منه أو دونَه - دلكُ أعضاءِ الجسم، وفَركُ شعرِ الرَّأس، ووضعُ الصابون والمُنظِّفات[1] .

ومثلُهُ وضعُ الثلج أو الماء البارد على الرأس عند اشتدادِ الحرارةِ .

٢ - **شمُّ الأزهارِ والوُرود**، وما كان جميلَ الرائحةِ مما شابَهها مما لا يُسمَّى - لغةً ولا عرفاً - عِطراً أو طيباً .

٣ - **التوقِّي من الحرِّ أو القَرِّ بِمظلَّةٍ** أو نحو ذلك .

٤ - **شدُّ الحِزامِ على الوسطِ**؛ سواءٌ أُتخِذَ لحفظِ الأموالِ أم لشدِّ الإزار، ومثلُه لبس ساعة اليد، أو التختُّم بالفضَّة، أو وضع النظَّارة الشمسيَّة أو الطبيَّة .

٥ - **تغيير ثيابِ الإحرام بغيرها**، سواءٌ أكان ذلك بسببٍ أم بغير سببٍ .

---

(١) حتى لو كانت مُطيَّبةً .

فقد رأينا مَن يستمرُّ بثيابِ الإحرامِ الأُولى حتى تكادَ تَسودُّ من شدَّة الوَسَخ، ثم هو (يُصرُّ) على عَدمِ تغييرها .

٦ - **وَضع الدُّهون الطيبَّة**؛ وهي - عادةً - لا توضعُ إلّا لحاجةٍ صحيَّة لا بدَّ منها .

٧ - **المُناقشاتُ العلميَّةُ التي يُراد منها** إظهارُ الصواب، وإبانةُ الحقِّ، بعيداً عن الجدال المذموم، والمراءِ المُبطلِ .

... فسائرُ هذه الأمور مما يُتَوسَّعُ فيه، ولا يُشدَّدُ على فاعلِهِ، فالأصلُ جوازُها، وعدم التحرُّج - أو التَّحريج - فيها .

واللَّهُ سبحانه يقول : ﴿ ما جعَلَ عَلَيكُم في الدِّين من حَرج ﴾ ورسولنا الكريم ﷺ يُحذِّر : « لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيُشدِّدَ اللَّهُ عليكم » (١).

فالمسلمُ الصادقُ إذا أدّى حجَّه على وفق سُنَّة النَّبي ﷺ، مُتَّبعاً في ذلك هَديَهُ صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه، غيرَ مُتهاونٍ ولا مُتخاذل عن أداءِ أحكام الحجِّ بأركانه وواجباته وسُنَنه، فإنَّه - والحالةُ هذه - يكونُ قد طبَّق علماً وعَملاً قوله ﷺ : « خُذوا عنِّي مناسِكَكُم » .

وأما ما سبق ذِكرُه مما يُتَوهَّم فيه الحَرج، وليس عليه أدنى دليلٍ، فالأمر له به واسعٌ فليوسِّع على نفسه ما وسَّع اللَّهُ به عليه .

o o o o o

(١) حديث حسنٌ، انظر له « جلباب المرأة المسلمة » (ص٢٠) لشيخنا الألباني .

من أحكام الحج وآدابه

احذَرُوا أيُّها الحَجيج

سليم بن عيد الهلالي

الحجُّ رحلةٌ إيمانيةٌ زادُها التقوى إلى رياضِ الطُّهر في البيتِ العتيقِ، فالحاجُّ ينبغي أن يخلعَ الدنيا وشهواتِها ويلقيها وراءَ ظهره، ويُقبلَ بكليته على ربِّه الذي دعاهُ فأجاب، وهداه فأناب .

ولكن طائفةً من الحجيج - وللأسف - يصدقُ فيهم قولُ القائل : « فما حَجَجْتَ ولكن حجَّت الإبلُ » !

وذلك لأنَّهم يتساهلون، فَيُسقطون أموراً هي عند أهل العلم قد يتوقف عليها صحة الحج وبطلانه، أو تمامه ونقصانه، ومن ذلك .

١ - عَدم المبيت في مِنى ليلة التاسع من ذي الحجة، بل ينامون في عَرَفة، أو يبقون في منازلهم في مكة .

ونقول لهؤلاء : إنَّ رسول اللَّه ﷺ لما كان ضحى يوم التروية ذَهب إلى منى، فلما وَصلها نزل بها، وصلَّى بها الظهر والعصر، وبات فيها .

٢ - عَدم المبيت في المزدلفة إلّا جزءاً من الليل، ولذلك لا يُصَلُّون الفجر فيها .

إنَّ المبيت في المُزدلفةِ عند اثنين من الصحابة وهما : ابن عباس وابنُ الزبير رضي اللَّه عنهم، ركنٌ كعرفة .

وإليه ذَهب عددٌ من أهل العلم إبراهيمُ النخعي، والشَّعبي، وعَلقمة، والحَسَنُ البُصري .

وهو مذهبُ الأوزاعي، وحمادِ بن أبي سليمان، وداود الظاهري، وأبي عبيد القاسم

ابن سلام .

واختاره المحمدان : ابنُ جَرير، وابنُ خَزيمة .

وهو أحدُ الوجوه للشافعية .

وقد حكاه ابنُ قيم الجوزية عنهم في « زاد المعاد » (١/٢٥٣)، وَرَجَّحَه (١/٢٥٤) فقال بعد أن حكى أدلة المخالفين :

« وفي الدليلين نَظر، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما قدَّمهن بعد المبيت بمزدلفة، وَذكر اللَّهَ تعالى بها لصلاة العشاء، والواجب هو ذلك، وأما توقيتُ الوقوف بعرفة إلى الفجر فلا ينافي أن يكون المبيت بمزدلفة ركناً، وتكون تلك الليلة وقتاً لهما كوقت المجموعتين من الصَّلوات، وتضييقُ الوقت لأحدهما لا يخرجُه عن أن يكونَ وقتاً لهما حال القدرة » .

٣ - رَمي الجمرات في أيام التشريق قبلَ الزَّوال .

وهذا مخالفٌ لهدي نبيِّنا محمد ﷺ؛ فإنَّه انتظر زوالَ الشَّمس فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار ولم يركب، فرمى الجمرات كلَّ واحدةٍ بسبعِ حصياتٍ واحدةً واحدةً .

ومِن المُثير للدَّهشة الداعي للاستغراب : أن كثيراً من الحجيج إذا نبَّهتهم على ذلك قالوا : يجبُره الدَّم !

وهذه نظرةٌ قاصرةٌ على فَرض صِحَّتها؛ فإنَّ الذي يبتغي القَبول لا يقولُ هذا بل يقول : أفي ترك هذا إثم أم لا ؟

فإن كان فيه إثمٌ فلا يقربُ حماه ابتداءً، ولا يفعل كما يفعل هؤلاء؛ يتركون كثيراً من الواجبات طلباً للراحة، فإذا ذُكِّروا قالوا ذلك القول .

ولذلك ينبغي على الحاج قبلَ الشروعِ في نُسُكه أن يتفقَّه في مناسكِ الحجِّ لئلا يقعَ في محظورٍ دون أن يدري، أو يسأل متساهلاً فيُفتي دون علم وبرهان ، فدينُ اللَّه وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه .

واللَّهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيل .

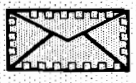

القُرَّاء .... منهم .. وإليهم ..

التحرير

○ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ د. ناصر عبدالكريم العقل المحاضر أصول الدين - قسم العقيدة - بالرياض .

يقول فيها :

المكرمون أسرة تحرير « **الأصالة** » وفقهم الله .

السلامُ عليكم ورحمةُ اللّه وبركاته .

وبعد : فقد اطلعت على العَدد الأوّل من « **الأصالة** » وقد غمرتني الفرحةُ، وسرني ما قرأتهُ فيها، لاسيما ما لمسته من توجه الأخوةِ القائمين عليها، حيث ذكروا أنَّ هدَفهم نَصرُ السُّنَّة ونهجِ السَّلف الصَّالح، وتقويةُ أواصرِ الأُخُوَّة بين المؤمنين، وهذا عملٌ طالما انتظرناه في خِضَمِّ هذا الزَّخَم الإعلامي والثَّقافي والفكري العَفِن، بل وكم نحن بحاجةٍ إلى مثل هذا المسلكِ السُّنِّي، ورفع صوت السُّنَّة، في جَعجَعة الشِّعارات، وحفيف الأهواءِ الذي يكاد يعصفُ بشبابِ الصَّحوةِ .

كما يَسرُّنا أن تُسهِم هذه « **الأصالة** » في علاج أدواءِ المسلمين عامةً والحركات الإسلامية - بخاصةٍ - التي انطوى كثيرٌ منها على شيءٍ من المخالفات العَقَدية والفكريةِ والسلوكية؛ في أُصولها، ومناهِجها، وأهدافِها، ووسائِلها .

ويُوصي الدكتور إخوانَه في « **الأصالة** » بما يلي :

١ - الإسهامُ في معالجة أدواء الدَّعوةِ على ضوءِ المنهج السَّلفي بأسلوبٍ رقيقٍ مشفقٍ لاسيما في هذا الوقت حيث اختلطت فيه المناهجُ واضطربت فيه السُّبل وكَثُر دعاةُ الضَّلالة .

٢ - التزامُ الرفق واللين والعطفِ في معالجة هؤلاءِ المرضى .

٣ - الرِّفقُ في الخطاب العامّ للأمة والنُّصح والتَّيسير .

ويختم رسالته بالدعاء لأسرة « **الأصالة** » بالتوفيق والتَّسديد والإعانة في تحمُّل هذه الأمانةِ وإبلاغ الرِّسالةِ ونشر السُّنة .

و « **الأصالة** » تُحيِّي الأخَ الفاضل، وتباركُ كلماتِهِ العذبةَ ونصائحَه الأخويةَ، وتتمنى أن تكون عند حسن ظن الأخوة جميعاً، وترحبُ بالأخ الدكتور أحاً مُشاركاً على صَفحاتها التي فَتَحَتْها لكل مُسلم سُنِّي يرفع عقيرته بالكتاب والسُّنة الصَّحيحة على فهم سَلف الأمةِ، راجين أن يُزوِّدنا الأخ الفاضل بالنافع من مقالاتِهِ، والجديدِ من مُشاركاته .

○ وصلتنا رسالةٌ من الأخ عماد الدين البراوي مندوب جمعية إحياء التراث الإسلامي في جُمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً يقول فيها :

« ... الأخوة الأفاضل القائمون على مجلة « **الأصالة** » الأثرية حفظهم اللَّهُ تعالى .

لقد عمَّتنا السعادةُ الغامرةُ عند سماعنا بصدورِ هذه المجلة السَّلفية التي تسيرُ على عقيدةِ ومنهجِ ودعوةِ الصَّحابة الكرامِ رضوان اللَّه عليهم جميعاً، ونسأله سبحانه أن تبقى « **الأصالة** » مِنبراً وعَلماً عن الأصالة الإسلامية، والمنهجِ القويمِ الذي يحملُه من كلِّ خَلَفٍ عدولُه .

باسم الطلابِ المسلمين في جُمهورية أذربيجان خاصة وجمهوريات السوفييت المنقرض عامة، نبعثُ إليكم بهذه التهنئة، راجين من اللَّه العليِّ القدير أن تكون مجلَّتكم مجلَّة كل مسلم يريد الحق ويقبلهُ ويذود عنه، مَجلة العِلم الشَّرعي الذي يجمعُ توحيدَ الخالق والمعبود، وتوحيد الطريق إليه بمتابعة رسولِهِ المبعوثِ رحمةً، وتوحيد الأمةِ والصَّف على ذلك .

ويشكو الأخ عماد من انتشارِ الخُرافاتِ والخُزعبلات - في تلك البلاد - مع قِلَّة الدُّعاة على بصيرةٍ، وبالمقابل كثرة الطرق الصوفية ومحاربتها للدُّعاة المخلصين .

« **الأصالة** » : تشكر الأخوة القائمين بشؤون الدَّعوة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي وخصوصاً الأخ عماد البراوي وزملائه، وتتمنى للجميع التوفيق، وتبارك لهم إصدارَ مجلَّتهم « الثبات »، ونرغبُ أن تزودونا بأعدادها تباعاً، لنقفَ على أحوالِ المسلمين في بلادِكم، وتحياتنا لكُم جميعاً .

○ وصلتنا رسالةٌ من الأخ نضال أحمد من مؤسسة دار البشائر - الإمارات العربية المتحدة، يقول فيها :

لقد قرأنا العددَ الأول من مجلتكم « **الأصالة** »، وقد أعجبنا محتواها العلمي وما تضمنتهُ صفحاتُها من مواضيع علمية جيدة وفتاوى ودروسٍ في المنهج، ولقد حصلنا عليها بصعوبةٍ شديدةٍ، ومن بابِ الحرص على نَشر العلم نودُّ منكم أن تزودونا بمعلومات عن كيفية الحصول على

أعدادها المنتظمة الإصدار، والكميات المتاحة، وخصوصاً أن إمكانية توزيعها متوفرة لدينا إن شاء اللّه، نسأل اللّه أن يوفقكم لما يُحب ويرضى، واللّه الموفّق .

« **الأصالة** » تَشكر الأخ نضال أحمد - دار البشائر على مشاعرهِ الطيبة، ونرجو أن تكونَ عند حُسن ظنّه .

أما بخصوص طَلبكُم فهو قيد الدِّراسة، نسأل اللّه التّوفيق لنا ولكم .

○ وصلت إلى « الأصالة » رسالة من الأخ فالح بن حسن الجهني المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة .

يقول فيها : السلامُ عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

وبعد : فنهنئكم بصدور « مجلّتكم الغراء »، ونأمل أن تمضوا قُدُماً في نَشر منهجِ السَّلفِ والدفاعِ عنه، وأن تكونوا صوتاً للسَّلفيِّين في كلِّ مكانٍ، ونرجو أن تنهضَ المجلةُ بمسؤلياتها تجاه شباب المسلمين الذين غُرِّرَ بهم، وبيان الحقِّ لهم، لعل اللّه أن يرُدَّهم إلى الحقِّ رداً جميلاً .

ويطلبُ الأخ في رسالته عرضَ سؤالٍ على شيخِنا العلامة الألباني - حفظه اللّه -، ويسألُ عن كيفية الاشتراك في « **الأصالة** » .

« **الأصالة** » : نشكرك يا أخ فالح على رسالتك ومشاعرك، وستعمل « **الأصالة** » - إن شاء اللّه - على تحقيقِ أهدافها السَّامية جاهدةً أن يُجنِّبها اللّهُ أمراضَ وسلبيات كثيرٍ من المجلات المتداولة في الساحةِ الإسلامية، وسَنعرِضُ سؤالك على شيخِنا بإذن اللّه وستجدون جوابَه في هذا العدد .

○ وصلتنا في رسالة من الأخ الدكتور عبدالرحمن علاءالدين - السعودية، يقول فيها :

« ... أُبشِّركم بأنها بدايةٌ طيبةٌ، أسألُ اللّهَ الكريمَ أن يعينَكم عليها، وأخص بالذكر أمرَ إيضاح العقيدة الصَّحيحة (السَّلفيةِ) وإيضاح قضايا الاتّباع والتَّزكيةِ ... وقد أبدى الأخُ بعض الملاحظات النافعةِ .

« **الأصالة** » : جزى اللّهُ الأخَ الدكتور عبدالرحمن علاءالدين خيراً، وترحبُ « **الأصالة** » به أخاً مؤازراً بالمُشاركة والنُّصح .

مسك الختام

المنهج أم أهله ؟

التحرير

قد يُجَرُّ الإنسانُ في بعضِ الأحايين لبعض الظروفِ والمُلابساتِ والمناسباتِ ولمعلوماتٍ سابقةٍ لديه إلى الدّخولِ في مَعركةٍ أو خلافٍ هو لا يحتاجُه فضلاً عن دينه وَدعوتهِ إليه، ولو أنَّه راجعَ نفسَه أمامَ الحقائق القرآنيَّةِ والنُّصوص النَّبويَّةِ لأراحَ واستراحَ !

ومن الأمورِ التي يحتاجُها أبناءُ الدَّعوةِ، والتي تضبطُ مسيرتَهم، وتبقيهم على صفاءِ عقيدتَهِم، أن يعلموا (منهجهم = خصائصَ دَعوتِهم) و (ماذا يريدون = أهدافهم) و (كيف = وسائل تحقيقها) ومن خلال ذلك يعلمون (الدَّخيلَ) من (الأصيل) و (المُحسنَ) من (المسيء) .

ودعوتُنا لإخوانِنا من خلال هذه السُّطور؛ أن يتأمَّلوا معنا قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ اِهدنا الصِّراطَ المستقيمَ . صِراطَ الَّذينَ أنعَمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهم ولا الضَّالين ﴾ .

أرأيتَ أيها الأخ المُحبُّ - لا زلت موصولاً بما تُحبُّ - كيف أن سؤالكَ ربَّكَ سلوكَ الصِّراط المستقيم عَرِيّاً عن أهلِه يكونُ أولاً، فأنت أولاً تبحثُ عن (الصِّراطِ المُستقيم)، ومن ثم تَعرفُ من خلالِهِ الذين يَسلكونَه،؛فَتكون معهَم ضِمنَ قافلةِ ﴿ الذينَ أنعمَ اللَّهُ عَليهِم من النَّبيِّين والصِّديقينَ والشهداء والصَّالحين وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً ﴾، وَلا يكونُ ذلك كذلك إلّا بطاعةِ اللَّه سبحانه واتباعِ رسوله ﷺ .

ولا تَتمُّ لك هذه المعيَّة ولا تُسبغُ عليك هذه المنَّة - لتكونَ من الذين :

﴿ أنعمَ اللَّهُ عليهم ﴾ - إلّا إن تحلّيت بما أسلفنا، وتخلّيت عن صراط ﴿ المغضوبِ عليهم ﴾ و ﴿ الضالين ﴾ .

فهذا التّمايز ضروريٌّ حتى تُقامَ الحُجّة ، وتَستَبينَ المحجّة ، ويهلك مَن هلكَ عن بيِّنةٍ ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنَةٍ .

وتأمَّل معنا أيُّها الأخ - رعاكَ اللَّهُ وحَماكَ - أنَّ تجنُّب طريق الذين يعملون ولا يعلمون مساوٍ تماماً لتجنّب طريق الذين يعلمون ولا يعملون، وأنَّ من ضلَّ من عُبّادنا ففيه شَبَهٌ من الضَّالين (النصارى) ومَن ضلَّ من عُلمائنا ففيه شبهٌ من المغضوبِ عليهم (اليهود) ، نعوذ باللّه من الخذلانِ وعَدمِ التَّوفيق والحِرمان .

إذن؛ فَسلامَتُك وعافيتُك أيها الأخ الحبيب أن تَتحقَّق فيك مُهمَّةُ نبيكَ ﷺ ألا وهي : ﴿ يُزَكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحِكمة ﴾ وحينها (فقط) تكونُ على الصِّراط المستقيم .

ولا تتم لك التزكية إلّا بِـ (التربية)، ولا يتم لك العلمُ إلّا بِـ (التَّصفية)؛ فما لم تَشتغل بهذين الأصلين (التربية) و (التصفية) وتَصُبّ كل جهدك فيهما - لأنَّهما مُترابطان ولا يُمكن الفَصلُ بينهما عند صادقٍ مخلصٍ أمينٍ وناصح لنَفسه وقومِه - تَكُن مجانباً الصِّراط المستقيم آخذاً نَصيباً من مَنهج ﴿ المغضوبِ عليهم ﴾ أو ﴿ الضَّالين ﴾ .

عافانا اللّه وإياكم من ذلك، وجعلنا مفاتيحَ خَير، مَغاليق شرٍّ، هداةً مَهديّين، وعلى اللّه قصد السَّبيل، ومنها جائر، نعوذ باللّه من الجور، ومن الحَوْر بعد الكَوْر .

o o o o o